مذكرات أوسمان صبري

{1905 -1993 }

ترجمة

هورامي يزدي

دلاور زنكي

مراجعة

توفيق الحسيني

www.amude.com

الاخراج الفني للطبعة الالكترونية
سيروان حجي بركو

من منشورات مركز عامودا للثقافة الكردية (19)

www.amude.com
info@amude.com

19.01.2003

القسم الأول

الثورة

في نهاية العام 1924 وفي احد أيام شهر تشرين الأول وقد أفلتت الشمس من بين الغيوم، ونشرت أشعتها الدافئة علينا. كان السائس يهتم بفرسي التي كانت مربوطة تحت الشمس، وكنت أنا مغرماً بالخيول وتربيتها من قلة العمل في القرية. وكان السائس يمسد ظهر الفرس بيده ويداعبه. فجأة رأيت شاباً يقف أمامي، ويقدم لي رسالة صغيرة أخذت الرسالة (القصاصة) وقرأتها، وكانت الرسالة من عمي شكري وهو يطلب مني الحضور إليه مع ابن عمي نجم الدين في تلك الليلة بأقصى سرعة إلى قرية (آرخة) التي تبعد عن قريتنا نارنجة مسافة /12/ كيلو متراً .عادة لا يطلب عمي حضورنا إلا إذا كانت هناك اموراً تهم العائلة و العشيرة فلماذا يرسل لي هذه الرسالة، لا بد أن هناك تطوراً طرأ للعائلة. ولابد أنه طلب عمي نوري الذي يقطن قرية قرقوته أيضاً. أن نجتمع عنده عادة ونتشاور فيما بيننا حول أمور العائلة كجميع عائلات الأغوات الذين كانوا يتنازعون حول زعامة العشيرة ولم نترك أحداً يشترك معنا من رجال العائلة حول هذه المواضيع، وكل المناقشات والمحادثات تدور بيننا نحن الأربعة فقط وصلت أنا ونجم الدين في تلك الليلة إلى (ارخه) ثم وصل عمي نوري فيما بعد، وعند وصوله بدأنا بالاجتماع، لكن حتى تلك اللحظة لم نعرف سبب هذا الاجتماع الطارئ يبدو من خلال وضع عمي شكري أن أموراً خطيرة حدثت ويتطلب ذلك اجتماعاً طارئاً، تماسك عمي ثم تنفس الصعداء وقال:

-لقد قام الشيخ سعيد بثورة قومية يطالب من خلالها باستقلال كردستان، وإن فشلت الثورة ستسيل دماء الرجال وسيؤدي هذا الفشل الى دمار جزء من كردستان .. وعلينا نحن ألا نقف أمام هذه الثورة متفرجين، ما رأيكم؟ .

كنت قد بلغت التاسعة عشر من عمري رغم أنني أبدو أقل من ذلك من خلال جثتي وملامح وجهي وتفكيري. لذلك لم أفهم شيئاً من حديث عمي. فلو كان الحدث يدور حول العشيرة أو العائلة لكنت تحدثت بما فيه الكفاية لأنني أستطيع التحدث عنها من خلال تجاربي، لكن أن أتحدث وأناقش في قيام الثورات ومحاربة الدول فهذا كان يتطلب فهماً أكبر ودرجة عالية من الوعي.

"قام الشيخ سعيد بثورة قومية " ترى هل الوطن بحاجة إلى الثورة؟ ثم " يطالب باستقلال كردستان " هل كردستان بحاجة إلى استقلال؟ من أجل

ماذا؟ ومن يطالب من بالاستقلال؟ أليس استقلال الأتراك هو استقلالنا؟ حاربنا الدول قبل خمس سنوات من أجل الاستقلال، حافظنا على الإمبراطورية العثمانية من اسطنبول حتى حدود اليمن. لكن هذه المرة سنحارب الصراط أم... وإن كنا نريد محاربتهم، لماذا ساعدناهم؟ كانت هذه الأسئلة تدور في رأسي ولا أجد لها جواباً.

كان الاجتماع أكبر من مستوى وعيي بكثير. لم أفهم منه شيئاً، ولم أتحدث، بقيت صامتاً لا ادري ماذا سيجري فيما بعد. ولم يكن عمي نوري أكثر وعياً وفهماً مني .. كان ينظر حوله ولا يعرف ماذا يفعل؟، أما نجم الدين فهو أكثر إدراكا منا، بل وأنشط، قال: إن مثل هذه الأشياء تتطلب فهماً أكثر، لكن لا نعرف شيئاً عن الثورة وعن برنامجها وأهدافها وعن الذين يقومون بها، ثم أنت لست بحاجة إلى استشارتنا، ما تراه مناسباً سننفذه.

كان عمي شكري يعرف أن نجم الدين يتحدث فيما يجب التحدث فيه ورغم ذلك كان ينظر إليّ وإلى نوري ينتظر الجواب منا !أما نحن فنومئ أو نوافق على كلام نجم الدين. ويتابع عمي من جديد:

طالما اعتمدتم علي في أموركم، علي أن أتحدث معكم بصراحة. نحن لم نعد نتحمل خيانة مصطفى كمال وظلمه وعناده، يقال أن لكل شيء حدوداً، فيجب أن يكون للصمت حدود أيضاً، لا أعرف ربما تحقق الثورة أهدافها، لكن يجب ألا نفوت الفرصة من أيدينا ونفعل شيئاً ما. عندما يفشل الشيخ سعيد صدقوني لا أحد يحترمنا نحن الأكراد لذلك علي أن أرسل له رسالة، وأوضح موقفنا فيه صراحة ونطرح عليه مساعدتنا، ونستطيع أن نستولي من جهتنا على اديامان ومارشي وملاطي وعينتاب.

توقف عمي هنا وكرجل لاح له النهاية المشرقة، أشعل سيجارته ثانية وتابع ألا تثق الحكومة التركية منذ زمن طويل بنا. ونستطيع أن نتحرك ونقدم المساعدة بشكل سري، نكون حلفاء الدولة بشكل ظاهري ونقترح على أنقرة أن تأذن لنا بإنشاء جيش المليس من الشعب بحجة ألا ندع جنود الثورة تدخل أراضينا ولنتمكن من مقاومتهم عندما يقتربون منا، وبذلك نستطيع أن نجمع القوة الاحتياطية وندافع من قضاء .Kext وبيت سكاي ربما تقدم لنا الحكومة السلاح والطلقات، وبعد أن نستلم الأسلحة سنساعد الشيخ سعيد والثورة، أعتقد أننا نستطيع أن نحقق بعض من أهدافنا ونحرر الشعب من سيطرة الأتراك.

انتهى اجتماعنا على هذا الاتفاق ، وكان متحدثنا الوحيد هو عمي شكري وحده، ولكن قبل كل شيء يجب أن نفكر بالجبال التي سنأوي إليها ثم قال انه كتب رسالة إلى الشيخ سعيد، وأعطاها للملا عبد الرزاق ثم أرسلها في تلك الليلة، وارسل ثلاث برقيات الى أنقرة، احداها لمصطفى كمال والثانية الى رئيس الوزراء والثالثة الى شقيق زوجته حاجي بدر بك للموافقة على مطالبة لدى الحكومة.

أخذ البرقيات الثلاثة إلى القضاء، وفي اليوم الثالث جاء رد البرقيات ,

وافق مصطفى كمال ورئيس الوزراء بعد الشكر لتأسيس جيش المليس وطلب أن يوضح من هم الأشخاص الذين سيتزعمون قيادة المليس.
اقتنع عمي شكري بأن الثورة وإن لم تنتصر فلن تجمع الحكومة الأسلحة من الشعب، لذلك كتب أسماء /470/ رجلاً ثم قال:
إن استردت الحكومة هذه الأسلحة منا ذات يوم، فلن تؤثر فينا فقدان / 470 / بارودة ثم كتب اسمه كزعيم للمليس وكتب اسمي أيضا وأرسل الجداول بأسماء الرجال إلى أنقرة، وفوراً جمعنا الرجال في عدة أماكن لنكون مستعدين نضرب ضربتنا بسرعة.
يجب على القارئ الكريم أن يتعرف من خلال هذه الصفحات على الوضع العشائري والعائلي والفكري والبيئي كي لا يقع في أخطاء .

العشيرة

عشيرتنا هي عشييرة (مرديس) جزء من إمارة مرديس يقطن نصف العشيرة في مدين (E gil.) بعد انهيار الإمارة طلب أمراء الإمارة أن يسيطروا على الإمارة باسم العشيرة. دخل أحد الأمراء إلى (كوجر مرديس) في الشتاء، وكانت الحيوانات وقطعان الأغنام يرعون في سهول عبد العزيز. ويصعدون في الصيف إلى (زوزانا) جبال كردستان، يدخل الأمراء إلى كوجر وينصبون أنفسهم زعماء يتحدون الجميع. وانقسمت عشيرة مرديس وكوجر إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول ذهب مع عبد الحي بك الذي افترق عنا واتجه إلى سهول هيمان – بين أنقرة وقونية – ويقال عنهم مرديس عبد الحي، ثم افترق القسم الثاني واتجه إلى جبال دياربكر ويقال لهم مرديس (تيركان) وقيل إن سبب انقسام مرديس تيركان حدث في فترة الذهاب إلى جبال كردستان، لم يكن يتفقون فيما بينهم حول موعد الذهاب لكن الصراحة أن الحقد والكراهية هي التي سيطرت على أولاد الأعمام، واجتمع وجهاء العشيرة

حول مرديس تيركان وطلبت هذه المجموعة أن تتجه القافلة إلى الجبال قبل الموعد المحدد ليتركوا السهول، قال زعيمهم إن حيواناتنا متعبة جداً ولم يحن موعد البرد والأمطار بعد، لذلك علينا أن نبقى فترة أخرى في السهل. وانحاز الأخ الصغير مصطفى الى عبد الحي وبعض وجهاء العشيرة، ولم يهتم لحديث محمد ورحل في تلك الليلة التي هطلت فيها أمطار غزيرة في الصباح مع الثلج. ومات نفق كثير من أغنامهم من شدة البرد والفيضانات وقد وضعت العشيرة الأطفال في (الخرج) ثم غطوا رؤوسهم بالطناجر لحمايتهم من البرد، وأطلق عليهم منذ ذلك الوقت اسم مرديس تيران. والآخرون هم الأكثرية فبقوا على حالهم ويطلق عليهم مرديس ,Yawestوعائلتي من عشيرة مرديس ,Yawest. كان جدي الكبير محمد زعيم العشيرة وبعد ان أفترق الأخوان وراح معهما نصف العشيرة لم يرغب في العودة إلى بلاد (.Egil) وسكن* على تلال قره كيجيان Qereg.`iyan .

سئم محمد بك من حياة البداوة والرحيل، وراح يبحث عن أرض يسكن فيها مع عشيرته، وقد حدثت مناوشات أدت إلى معارك طاحنة بين مرديس وقره كجيان في ذلك الوقت وقتل الكثير من الرجال. عندما تدخلت الحكومة بينهما وتصالحت القبيلتان على أن يدفع كل طرف دية القتلى، راح القره كجيان يسرقون قتلى المرديس ليلاً ويدفنونهم في مقابرهم باعتبار هم قتلاهم. ودفن ثلاثة قتلى في مقابر مرديس. وأثر هذه الحادثة لم يرغب المرديسيون أن يعيشون مع القره كجيان في أرض واحدة. لذلك رحلوا إلى أواسط جبال B.II, (جبال نمرود) غرب مدينة Lerger.

توجد في تلك الجبال أشجار وغابات ووحوش وأكثر أنواع الوحوش التي فيها هي: الخنازير والفهود. وخاصة نوع من الفهود يطلق عليها الوشق وهو أكبر* من الفهود الأفريقية بكثير وأشرسها .

سكنت العشيرة في بداية الأمر في السهل بجانب الجبل. وشيدت ثلاثاً وعشرين قرية وانتشرت باتجاه الجبل لتتمكن من السيطرة على الأرض. وكان يجب عليهم أن يحاربوا الوشق والخنازير فالوشق يهاجمهم والخنازير تقضي على مزروعاتهم. ولكي يقضوا على النوعين من الوحوش كان عليهم أن يقطعوا الغابات والأشجار والأدغال ،بمعنى آخر عليهم أن ينظفوا الجبل كي لا تختبئ الوحوش فيه. وفعلاً تغلبوا على الوحوش بعد أن قطعوا الأشجار والغابات.

ولا يوجد في جبال مرديس سوى الذئاب والضباع والخنازير من الوحوش الشرسة ولم تعد هناك فهود.

---

* المكان الذي سكن فيه (Qeregê Çiyan) يطلق عليه اليوم خربة مرديسي.

* الوشق:حيوان من فصيلة السباع وهو اصغر من الفهد. المنجد- الطبعة التاسعة- كانون الاول 1937- بيروت(المترجم)

العائلة

وقد وصل جدي محمد مع افراد عشيرته الى الأرض المعروفة اليوم باسم مرديس للسكن فيها ومازلنا حتى يومنا هذا، ونحن من تسعة أجداد نقيم في هذه الأرض وكنا طيلة حياتنا في شقاق مع الأتراك، قتل ثلاثة من أجدادي بيد جنود الأتراك بأسلوب وحشي.

صدر بحق والدي صبري وجدي أبو ذر فرمان، وقد نجا كل الاثنان من الموت بأعجوبة.

لست هنا في مجال تدوين تاريخ العائلة ولن أتحدث عن اسباب وأساليب القتل الذي مارسوه في الشخص الثالث ونجاة الاثنين من فرمان القتل.

سأوضح هنا في هذه الصفحات كيف وقفوا أمام أعواد المشانق عدة مرات ونجوا فيما بعد، ورغم ذلك مازلنا على طريق النضال، ومن يعلم ربما أقتل غداً بيد أعداء أجدادي ؟. ينتظرني الأجداد في كل خطوة أخطوها لأثأر لهم وللوطن ويأملون أن أمشي على خطاهم.

إن الهدف من التحدث عن العشيرة والعائلة هو أن يعلم القارئ الكريم لماذا أناضل في سبيل الوطن وماذا حصلت من النضال. اعتقد أن الأمهات ينجبن يومياً عشرات الأولاد الذين سيصبحون أبطالاً وسينجبن ولن تتوقف بطون الأمهات. يعني لا بد أننا سنستفيد في الأيام القادمة، كالشجرة التي تمتد جذورها إلى الأعماق، وعندما تضعف أو تمرض لا بد أن الدود ينخر فيها وستحال الشجرة إلى الاموات. هكذا هي العائلة .بعد انهيار إمارة مرديس كان رجال العائلة ضد حزب الفتاة؟ ومازال حتى اليوم لقد ذاقوا عداوة الحكومة التركية الظالمة. منذ اليوم الذي ولدت فيه وحتى اليوم الذي خرجت من البلاد (كنت في التاسعة عشرة من عمري) شنت الحكومة التركية هجماتها ثلاث مرات.

في المرة الأولى كان عمري أربعين يوماً عندما هربت العائلة والتجأت إلى الجبال من ظلم الحكومة التركية، عندها بكيت في الطريق، أصبت بالفتاق*. وفي المرة الثانية كان عمري ست سنوات لا أذكر شيئاً من تلك الأيام المرة إلا كحلم يمر أمام عيني. عندها دخل جميع رجال العائلة السجن سُلبت ونُهبت أملاكنا وهُجّرنا من منطقتنا، وفي المرة الثالثة موطنها. كتابي هذا الذي بين أيديكم سأتحدث لكم، وقد أعتقل اثنان من أعمامي وأعدما فيها وحكم عليّ بالسجن ست سنوات.

* لسوء الحظ بعد 55 سنة من الفتاق الأول انتكس معي ثانية في سجن المزة وحدث معي للمرتين أثناء قيامي بالواجب الوطني بسبب الأعداء.

حقد الأتراك كان يولد فيّ العشق والسعي نحو الهدف. كلما ازداد حقدي للطغمة الظالمة، أزداد حبي للشعب والوطن، والسير في طريق النضال. لذلك إن تخاذلت يوماً فهذا يعني أنني لن أحظى بشرف النضال وسأكون سيئ الحظ.

طفولتي

بعد زواج والدي من والدتي بخمس سنوات أثمر حبهما برعماً صغيراً في 5 كانون الثاني من العام 1905 في قرية نارنجة، وكان البرعم أنا اوسمان صبري فيما بعد. كانت العائلة تنتظر قدومي لفترة طويلة، جئت إلى العالم دون أي ضجيج أو فرح كما كان الناس يفعلون بهذه المناسبة، جئت في صمت الصباح الباكر.

كنت صغير الجسم ضعيف البنية والولد البكر، فلم يهتم والدي بتربيتي، وقد سببت مشاكل كثيرة حول كيفية تربيتي.

بعد ولادتي بشهر دب الخلاف بين أهل المنطقة والحكومة التركية وبدأت معركة، ولم تمض عدة أيام حتى انقسمت العشيرة إلى جماعتين والتجأتا إلى الجبل كنت وقتذاك في اليوم الأربعين، خرج الأطفال والنساء، ودخلوا المغارات والكهوف بكيت كثيراً حتى غضب والدي مني وأطلق علي اسم المشؤوم بسبب المصيبة التي حلت بالعائلة والعشيرة وقيل فيما بعد أن والدي كان غاضباً من بكائي وقال للذين حوله: لولا مخافتي من الله لرميت هذا البائس إلى جانب شجرة السنديان في اليوم الذي خلق فيه والمصائب تحل علينا، وبكاؤه سيسبب لنا مشاكل ويهدي العدوى الى مكاننا .

دامت هذه الأزمة أكثر من سنة ثم عاد الجميع إلى منازلهم ومارسوا حياتهم من جديد. بعد ولادتي بخمس سنوات في العام 1910 دب النزاع بين الحكومة التركية وبيننا لأسباب صغيرة.

تغلبت الحكومة علينا بمساعدة العشائر الخونة، وتمزقت العشيرة من جديد،آنذاك كان والدي وابن عمي في آمد، لم يجدا طريقاً للعودة إلينا وبقيا هناك ستة أشهر، اعتقل عمي شكري مع اثنين من اخوالي إثر ذلك والتجأ الآخرون إلى الجبال.

أذكر أن عائلات كثيرة بنت غرفة في كخته وسكنوا فيها، كان البيت

كبيراً جداً وكنا كثيرين أيضاً كنا نتشاجر نحن الأطفال دائماً وكنت متذمراً وأسأل والدتي متى سنذهب إلى بيتنا؟ وهي ترد بحزن: " عندما يشاء الله ويعود والدك من آمد ". كنت أذهب يومياً إلى السجن لرؤية عمي وأخوالي وفي كل مرة آخذ منهم فرنكاً، وقد يكون سبب ذهابي إليهم هو الفرنك. وفي كل مرة يأخذني الجندرمة إليهم وأقول لهم: " أعطوني فرنكاً " مرة اتفقوا أن يسألوني من هو عمي وخالي. وعندما قلت: "من يعطيني النقود هو عمي وخالي " ضحكوا كثيراً، وأذكر أيضاً عودة العشيرة إلى ديارها وأصوات الطبول والزغاريد وطلقات الرصاص، كنت فرحاً بعودتنا إلى البيت وفرحت اكثر بالهدايا التي أحضرها والدي لي معه من آمد. ثم عاد والدي وأُطلق سراح المعتقلين.

ذهبت إلى المدرسة عندما أصبحت في السابعة من عمري وقد كان حجمي صغيراً جداً، لكن صحتي كانت قوية كان والدي ويتساءل دائماً: هل يمكن أن يكبر حجم اوسمان مثل كل الناس ولن يبقى صغيراً هكذا؟

يبدو أن هذا السؤال أزعج بعض الناس كثيراً حتى أن أحدهم رد عليه وقال:

أرى أنك تتساءل كثيراً يا صبري عن حجم الولد ... هل تعتقد أن الحجم هو كل شيء أم أن الحجم الصغير عار ؟. وأظن أن اوسمان لن يكون أصغر حجماً منك .

قال والدي " : أتمنى أن يكون اكبر حجماً مني ...."

فاحمر وجه والدي خجلاً لأنه كان صغير الحجم. عندما أكون صغير الحجم فهذا ليس عاراً ..

منذ ذلك الوقت لم يعد والدي يتحدث عن صغر الحجم وكبره كنت أصغر حجماً من جميع زملائي في المدرسة اكثرهم ذكاءً وأكثرهم فهماً، وقد كانت درجتي في غالبية الدروس لا تقل عن الدرجة التامة، لذلك كان والدي يفرح بوجودي كثيراً، وكان يخجل بنفس الوقت من وجودي لصغر حجمي أثناء ولادتي. يقول لمستمعيه دائماً " إن لم يحصل اوسمان على شهادة الحقوق سأحرمه من الميراث لم يكن والدي متعلماً لكن كان يدرك قيمة العلم والتعليم، وكان عليّ أن أقرأ دروسي كل ليلة أمامه حتى لا أخطئ ثم يتركني أن أنام. ويفرح كثيراً عندما يلاحظ أنني أحفظ دروسي بسرعة، وقد تظهر علامات الفرح على وجهه، ينتظر قدومي من المدرسة ليأخذني إلى المضافة، وحين لا يوجد غرباء اجلس معه، وأحياناً كانوا يمازحونني. لكن إن وجد ضيف غريب فكنت أقف على قدمي حتى يحين موعد نومي. قليلة تلك المرات التي لا يوجد في بيتنا ضيف غريب، كان الأغوات وموظفو الحكومة يرتادون مضافتنا. وكان هدف والدي أن أتعلم كيف أحب الضيوف وأتعامل معهم، وألا أخجل. كان يعلمني أصول التعامل مع الضيوف وكنت أتعب كثيراً. لذا كرهت الحياة والمدرسة مع الكبار، كنت أتألم وأنا صغير السن، لا يمكن أن أرى الأطفال في اليوم الذي يكون فيه والدي فيه البيت، يتركني مع الضيوف في الغرفة التي

يتصاعد منها دخان السجائر، لم أر سوى الوجوه المليئة بالذقون والشوارب، وهذا ما كان يزعجني كثيراً خاصة حديثهم التي يكون عادة حول المحاصيل أو حول المعارك والقتال.

ماذا يمكن أن يفهم طفل صغير من هذه الأحاديث، كنت بحاجة لرؤية الأطفال واللعب معهم، كنت بحاجة إلى أصواتهم الناعمة ورؤية وجوههم الملائكية، لذلك كنت أكره نفسي عندما يبقى والدي في البيت.

أعود من المدرسة واذهب إلى الأطفال، نلعب معاً حتى المساء، وأقرأ دروسي بعد العشاء، ثم أنام، هذه هي الحياة التي كنت أريدها لنفسي وللأطفال.

كلما كنت مجتهداً في المدرسة ازعجني والدي باحضاري الى المضافة، لم يكن يعرف أن طفلاً صغيراً لا يتمالك نفسه أمام اللعب. يبدو أنه لم يتألم عندما كان طفلاً، لا يستطيع طفل أن يعيش بلا لعب وضحك وشجار أو قتال. هل يمكن أن يصبح طفل في مثل عمري زعيماً؟ ورغم ذلك كانت هناك متعة للحياة ولكن لم تدم هذه المتعة طويلاً فقد مرض والدي وأصبحت مثل غالبية الأطفال يتيماً في العاشرة من عمري في العام 1915وكنت في الصف الثالث، انتشر مرض التيفوئيد في البلاد، أصبنا جميعاً بالمرض. توفي كثيرون ومنهم والدي وأستاذي أيضاً.

لقد حرمني المرض من الأب الذي كان يحبني رغم قسوته وحرمني من صحتي، وترك أثاراً واضحة في جسدي حتى الآن. لذا كان من الضروري أن أتحدث عن هذه المرحلة.

عندما كانت كردستان الشمالية تحت الاحتلال العثماني، وكانت الإمبراطورية العثمانية طرفاً من أطراف الحرب العالمية الأولى، كان غالبية الأطباء في ساحة المعركة، أما الأطباء الآخرون لم يستطيعوا أن يوقفوا موجة الموت التي تحصد مرضى التيفوئيد، لا توجد أدوية لذا لم نستفد من الأطباء إلا قليلاً، كنا نستفيد من نصائحهم كالنظافة والحمية والحجر الصحي على المريض وعدم انتقال العدوى. لكن رغم عدم وجود الأدوية فقد كان وجود طبيب في المنطقة أملاً كبيراً للناس .كان لعشيرتنا طبيب سوداني يعالج الناحية كلها، وهو يعمل مع والدي لخدمة العشيرة، لكن النواحي الأخرى الكبيرة كانت محرومة من الأطباء أيضاً.

يحمل الطبيب السوداني محفظة كبيرة لا توجد فيها أدوية، إنما فيها كتب وأوراق وبعض ثيابه، كان خالي يداعبه ويقول: توجد في محفظة الطبيب كل شيء إلا الأدوية. وحين يذهب الطبيب في بداية كل شهر إلى الناحية ليستلم راتبه، كانت وزارة الصحة تقدم له / 1500/ حبة(كينا) Kim,n.n و/500/حبة أسبرين وزجاجة اسبرتو(من الكحول- المترجم) وعدة حزم من القطن. وكان الناس يقولون إن هذه الأدوية ليست لمرض التيفوئيد، علماً أن الطبيب الزنجي كان يفرح كثيراً عندما يحصل عليها .

مرضت قبل والدي وقد ترك المرض آثاراً عميقة في جسدي، أذكر حتى الآن أماكن الإصابة في جسمي. كان والدي يتجول مع الطبيب

الأسود(الزنجي) من الصباح حتى المساء في القرية على المرضى وفي الليل يحمل رجل فانوساً أمامهما وهما يزوران المرضى .. رغم أن والدي كان آغا مستبداً، فقد وضع كل ثروته في خدمة العشيرة .

كان الرجال يحملون الثلج من الجبل للمرضى على ظهر اربعة بغال، وكذلك يحمل البعض بطيخاً أحمر وأصفر من طريق آمد كل خمسة أيام، ورجل ينقل السكر والأدوية من العطارين من طريق جبل رها إلينا .

يصنع الطبيب السوداني بعض الأدوية ويقدم اللحم والطعام للناس الذين شفوا من المرض ومازالوا في طور النقاهة، ورغم ذلك لم يستطع أن يؤمن نصف ما يحتاج إليه المرضى، لا تأخذ العشيرة من الجمل إلا أذنه . كانوا يقولون: " ألا يستطيع رجل أن يُشبع عشيرته من ماله " وإن لم يستطع أن يشبع قريته المؤلفة من مائة عائلة؟ فكيف يكون وضع العشائر الكبيرة؟

أغلقت المدارس أبوابها بعد انتشار المرض، وساعد والدي مع الطبيب أهل القرية ولم ينتبها إليّ. كنت ألعب من الصباح حتى المساء مع الأطفال الذين لم يصابوا بالمرض. عدت يوماً إلى البيت، وجدت نفسي متعباً جداً، أخبرت والدتي فوضعت يدها على جبهتي وقالت: يا لحظي المكود، أنت أيضاً مريض، يتصاعد لهب النار من رأسك " حضنتني، فقدت الوعي. فتحت عيني بعد أربعين يوماً كانت رقبتي يابسة، لم أستطع التحرك، وكان والدي معي في الفراش مريضاً أيضا. أعطاني الطبيب بعض الأدوية التي صنعها بنفسه، وشفيت بعد شهر، لكن لم يستطع الطبيب أن يبعد شبح الموت عن والدي في شهر آذار بعد وفاة أستاذي بعدة أيام توفي والدي أيضاً. لقد فقدت شخصين كنت أحبهما كثيراً خلال شهر واحد هما والدي وأستاذي بمرض التيفوئيد.

نسيت أعز شخصين علي، كيف يتذكر طفل صغير لم يتجاوز عشر سنوات بسرعة، لكن بقي آثار المرض في جسمي. رغم أن المرض حرمني من الفرح الطفولي ودفعني إلى تصرفات كبيرة .

آثار المرض

لا أعرف كيف أبدأ الحديث، أصيبَ غالبية أطفال البلاد بهذا المرض، توفي بعضهم وشفي البعض الآخر وبعد فترة قصيرة أصبحوا أقوياء البنية إلا أنا ،لم أمت، ولم أصبح قوي البنية كباقي الأطفال، يعني كنت موجوداً وكأنني ميت.

قلت سابقاً، عندما ولدت كنت صغير الحجم ضعيف البنية، لكن لم

يمض وقت طويل حتى أصبحت قوياً أكثر من جميع الأطفال، فقد كان جسمي أصغر من عمري، وهذا ما جعل والدي يسأل: "هل يمكن أن يكون اوسمان ضخماً مثل أطفالنا ؟"

صحيح كان حجمي صغيراً، لكن كانت صحتي قوية أما هذه المرة فقدت صحتي أيضاً بعد المرض، كنت أصغر الأطفال وأكثرهم عرضة للمرض. كان الأطفال يسندون إلي أدوار الضعفاء أثناء اللعب لأنني لا أستطيع الركض ولا أملك القوة، وهذا ما كان يشعرني دائماً بأنني أقل من الأطفال، لذلك لم أكن ارقص مع الأطفال في الأفراح والحفلات.

عندما تسنح لي الفرصة أدخل إلى غرفة والدتي وأقف أمام المرآة ثم أخلع ثيابي وأنظر إلى جسمي النحيل لأرى هل ازددت حجماً أم لا ؟. وكنت أجد نفسي دائماً أمام المرآة كبير الرأس ذا عينين جاحظتين، ووجه ضعيف شاحب، وزنود مع سيقان جلد على عظم، صراحة كنت أكره جسمي ".

وكان هذا يؤثر في نفسيتي كثيراً، وقلما كنت أضحك، والمصيبة الكبرى هي، لو أنني ضحكت لظهر الشحوب على وجهي كما يضحك الميت، لذلك حرمت نفسي من الاحتفالات والأفراح، تألمت كثيراً بعد وفاة والدي ولم يبق دواء إلا تناولتها، ولم يبق طبيب إلا فحصني، رغم ذلك لم يجدوا فيّ مرضاً سوى الضعف العام ولم أستفد منهم، وكما عالجني الأطباء، عرضوني أيضاً على الشيوخ والملالي وكل واحد كان يدلو بدلوه ويكتب لي حجاباً، والحجب التي علقتها في أماكن مختلفة من جسمي فوق الثياب كانت تشبه نياشين وزير هتلر.

لم أستفد من تعاويذ الشيوخ والملالي أيضاً وبقيت كما أنا، مارست هوايتين وبرعت فيهما لأنهما ليستا بحاجة إلى القوة البدنية ،1- هواية ركوب الخيل، 2- هواية الرماية، لأنني كنت أضعف الجميع في كل الألعاب والحركات. كنت الأول على الجميع في الهوايتين أتقنتهما حتى أصبحت أفتخر بنفسي.

لم يهتم الناس لهوايتي لأنهم كانوا يسيطرون عليّ وهذا الوضع جعلني ازداد تطوراً كلما أتقنت الهوايتين ومازال أصدقائي يخدعون الناس بأنهم أقوياء. أما أنا فكنت أعرف جيداً أن جسمي الضعيف لم يكن مكان فخر واعتزاز بين الناس لذلك كنت أحاول دائماً أن أنمي مواهبي وأتقدم على زملائي فكرياً إن لم أكن جسدياً .

لا يمكن للمرء أن يحصل على شيء بسهولة في هذا العالم، وهكذا الحياة أيضاً كنت أدرك هذا تماماً. إن لم يجد المرء نفسه على الأرض لا يحاول النهوض، وإن لم يجد نفسه وراء الجميع فلا يركض كي يسبق زملاءه، ومن الحماقة أن يجد المرء نفسه ضعيفاً ولا يغير من نفسه أو لا يغير ظنون الناس فيه ويبدد شكوكهم.

نحو مرحلة الشباب

بعد وفاة والدي، تولى عمي شكري رعايتي، رغم أنه كان يحبني، لكنْ لم يأت إلى قريتنا إلا قليلاً ومع ذلك كان يرعاني، علماً انني كنت مع والدتي. بقدر ما كان والدي يتعبني في الدراسة والتربية وقد تركتني والدتي حراً، وهذا ما جعلني أن أتخلى عن طريق الصواب حتى عرف عمي بوضعي أنني قد تغيرت كثيراً، وأوصى عمي بعض الرجال بمراقبتي وأعادني إلى طريق الصحيح من جديد .

عندما توفي أبي في ربيع عام 1915 توفي أستاذي أيضاً، ولم ترسل الحكومة في تلك السنة ولا السنة التالية أستاذاً للمدرسة وبذلك خسرت سنتين دراسيتين فالتجأت إلى هوايتي ركوب الخيل والصيد والرماية.

في نهاية 1917 جاءنا أستاذ وحصلت على الشهادة الابتدائية وفي العام الثاني أرسلني عمي إلى مدرسة .Kext الرشادية. وحصلت على الشهادة خلال ثلاث سنوات، أراد عمي ووالدتي وأهل العشيرة أن يزوجوني لأنني يتيم وليس لدي شقيق، لأنجب أطفالاً. هكذا أخرجوني من المدرسة فأطعت والدتي وعمي رغم أنني أعرفهما أنهما كانا على خطأ ولكن ماذا أفعل؟

حصلت على الشهادة في عام 1920 في المدرسة الرشادية، وعدت إلى البيت كي أتعلم وأتعرف على أحوال العشيرة. عدت إلى القرية الى حياة العشيرة وركوب الخيل والصيد. وعندما كانت المعارك تجري مع العشيرة كانوا يرسلونني مع محارب عتيد أو فارس شجاع كي أتعلم منه أصول القتال، وكانوا يروون لي قصصاً تاريخية عن العائلة والعشيرة ومقاومتها الحكومة للحفاظ على أرواحهم، والحوادث التي قام بها رجال العائلة منذ اليوم الذي تركت فيها العشيرة حياة البداوة وحتى اليوم الذي استقروا على هذه الأرض. بمعنى آخر كانوا يهيئونني أن أستلم زعامة العشيرة، وأثناء إقامة عمي شكري بجولاته كان يترك أمور العشيرة بيدي، كان يساعدني في ذلك ابن عمي نجم الدين لأنني لم أستطع أن أطلق أحكاماً صحيحة، وهكذا مضت سنوات 1921-1922 .

تزوجت في خريف عام 1922 وكنت في السابعة عشرة من عمري. وبعد سنة من الزواج رزقت بطفل يدعى " ولاتو ". رغم ضعف جسمي وصغر حجمي فقد قطعت مرحلة الطفولة ودخلت طور الرجال.

مازلت أذكر يوم الزواج جيداً رغم أنني أنهيت السابعة عشرة، كان جسمي بحجم طفل في الثالثة عشرة من عمره. وعندما ألبسوني ثياب العرس كان الحاضرون يهزأون مني في دخيلة انفسهم، لكن كل هذا لم يثن من عزيمة عمي ووالدتي من تزويجي، فقد كانوا أولاً يريدون أن يروا

أولادي، وثانياً ان أرتقي إلى مصاف الرجال، لكن للأسف لم أستطع أن أكون أباً كالآباء ولا رجلاً كالرجال وان كان جوهري غير ذلك، لأن الشكل الخارجي في ذلك الوقت كان من الأمور التي لا يستهان بها المرء أبداً ..

عندما كان عمي يترأس زعامة العشيرة كنت مرتاحاً جداً وأتمنى أن أكون يوماً مثل والدي وعمي في كل شيء، أقدم الخدمات للعشيرة، كان عمي يحبني كثيراً وهو مقتنع بأنني سآخذ مكانه ومكان والدي بين العشيرة، لكن بعد ذلك حدثت حادثة جعلتني أكره كل شيء. وحتى الزعامة بل أحارب جاهداً ألا أكون مسؤولاً عن العشيرة.

وقد حدث هذا التغيير من قبل الأستاذ إسماعيل أفندي، فتح هذا الرجل عيني على النظام القديم، وأثر فيّ تأثيراً كبيراً جعلني أحترمه ومازالت أذكره حتى الآن، هذا النظام الذي راح ضحيتها والدي وأجدادي من هو الأستاذ إسماعيل أفندي، وكيف جاء إلى قريتنا؟.

كان إسماعيل أفندي من (مروسيه) Mir/s. أستاذاً في المدرسة الإعدادية. نقلوه في العام 1923 بسبب أفكاره السياسية من المدرسة الإعدادية إلى مدرسة القرية ولم يفش سره لأحد بل اعتبر نقله مكافأة وليست عقوبة، وعندما رآني وفياً وأميناً تحدث معي عن سبب نقله، ثم أراد أن يعلمني أفكاره السياسية بأسلوب مبسط.

فقد كان يعرفني إسماعيل أفندي، يعرف أنني صادق، وعنيد، ويعرف أنه سيتعب معي، لكن رغم ذلك كان يعلمني ويطلعني على أمور السياسية، لأنه لم يجد أحداً في القرية البعيدة عن العالم ليناقشه ويطلعه على أفكاره كان يشرح لي بإسهاب عيوب النظام القديم العفن التي لاتعد ولا تحصى، لم أتأثر ولم يخدعني بكلامه، لأنني كنت جزءاً من النظام القديم، كان عليه أن يمحو الأفكار القديمة من رأسي حتى يستطيع أن يزرع نظاماً جديداً. كان واسع الصدر، طويل البال، صبور اً جداً استطاع أن يغير أفكاري خلال وقت قصير بأسلوب ممتع، تلك الأشياء التي كنت أراها جديرة بالرجال، أخجل الآن منها عند سماعها، لم أكن أرفض النظام القديم فحسب بل كنت أحاربه بضراوة. عندما يدرك المرء في نهاية المطاف أنه كان مخدوعاً بشيء ما، ولا يتخلى عن تلك الأشياء فحسب بل يكرهها و يحاربها، وهذا ما حدث معي، عندما اكتشفت أنني خدعت بالنظام القديم، واهتديت إلى الطريق الصحيح حاربت النظام القديم والأفكار الحمقاء بكافة السبل.

انتقل إسماعيل أفندي قبل أن تنتهي المدرسة، وأعاده وزير المعارف ثانية إلى عمله القديم، لكن لم تسنح له الفرصة أن يزرع أفكاراً جديدة فيّ، بعد أن أزال عنه عفونة القديم، ، تعبت في الحياة بعد انتقاله كنت خاوياً قلقاً لا هدف لي ولا أعرف أين سترسو سفينتي لكن الحياة تمضي.

تفكك الثورة

يعود انهيار ثورة الشيخ سعيد -حسب قناعتي-الى: ان الذين كانوا مع الثورة يجهلون الأنظمة والأساليب النضالية الصحيحة لتفجير ثورة،فقد كان يلتف حول الشيخ سعيد بعض الآغوات والشيوخ والبكوات ولم يكونوا رجال ثورة وانتفاضات. لذلك التجأ الشيخ مع مجموعة من جنود الثورة الى آمد وتوقف أمام سور المدينة، وقضى أياماً هناك، التجأت مجموعة من الجنود مع الشيوخ إلى مدينة (خاربيت) وفتحت المدينة أبوابها أمامهم،مرحبة بهم إلا أن مريدي أولئك الشيوخ سلبوا المدينة وما فيها، وحمل رجال المدينة السلاح لمقاومة جنود الثورة والحفاظ على أرواحهم وأنفسهم، وطردوا الجنود الذين نهبوا المدينة حتى أوصلوهم إلى الجبال.

ووصل الآخرون إلى منطقة سويرك* ولم يكن لدى الأتراك انذاك جيشٌ قويٌ ليتمكن من إيقاف جنود لثورة الجرار، وطلب الشيخ سعيد المساعدة من الآغوات الخونة الذين باعوا كل شيء من أجل صداقة الحكومة وكان ابن محمود أفندي قدباشي، ومحمد أمين وعبد القادر دريعي و حاجو آغا الهفيركاني يقاومون جنود الثورة في قرية قرة باغجة وتغلبوا على الجنود، وصلت طلائع الثوار إلى سويرك بعد معركة حامية في قره باغجة وتيددت. كنا ننتظر قدوم جنود الثورة واستعدنا لكل شيء، أجتمع رجالنا في ثلاثة أماكن.

وكان أعداؤنا من العشيرة في منطقة بيتركه يستعدون لنا أيضا فقد أخبروا حكومة أنقرة أننا مع الثورة، وأرسلوا تلغرافاً يطلبون المساعدة من الحكومة كي يحاربونا، كان يجب علينا أن ندبر أمورنا بشكل أفضل، لكن للأسف أفلتت الأمور من أيدينا، حاصرناهم وشتتناهم خلال أربعة أيام، تفرق زعماؤهم وهربوا مع أطفالهم إلى ولاية أخرى، ثم دفعنا ضريبتها أربعة أضعاف.

في الفترة التي كانت الحكومة تخمد نار الثورة لم تحاول أن تشن هجوماً علينا وحاولت أن تقنعنا من خلال أعمالها وتصرفاتها التي تقدمها لنا أنها حليفتنا. وأصبحنا كالأرنب الذي يعتقد أنه لا وجود لصياد ينتظره حتى جاء دورنا وبدأت تشن هجوماً علينا.

بعد أن خرج جنود الثورة من (خاربيت) بقيت آمد فترة محاصرة، وتسلق أكثر من /100/ فارس سور المدينة في ليلة ما ودخلوا إليها. أثناء ذلك جمع مصطفى كمال جنوده من الأناضول وحاصر منطقة الثورة.

---

* كنت مع عبدالقادر دريعي في عام 1930 أخبرني كاتبه محمد عن معركة قره باخجه قال"احضر حاجو ابنه جاجان معه" عندما رأيت جاجان في دمشق عام 1931 وسألته لم ينفي أي شيء.وتحدث حاجو معي عن هذه المعركة وقال : كان السبب هو عدم معرفتهم أهداف الثورة.

تجول جنود الثورة مدة شهر كامل حول سور المدينة ولم يعرفوا شيئاً عن المدينة ولا شكل المقاومة ولا أهداف الثورة. فقد قيل لهم أن مصطفى كمال خرج عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ولا يملك السلاح ولا الذخيرة. عندما رأى جنود الثورة جيشاً قوياً مجهزاً بالأسلحة، تركوا الشيخ وتشتتوا، أريد أن أدون هنا أسباب فشل الثورة كي لا نكرر الأخطاء ولا نقع في أخطاء جديدة.

هناك أخطاء كثيرة يتطلب منا أن نتوقف عندها وأسئلة كثيرة تجول في ذهننا نحاول أن نطرحها.

لماذا توقف جنود الثورة أمام سور مدينة آمد ولم يتقدموا ؟. ألا يمكن أن يتركوا مدينة آمد تحت الحصار ويلتجئوا إلى احتلال أو إشعال نار الثورة في المدن الكردية الأخرى؟ لماذا لم يفعلوا ذلك؟ للإجابة عن هذه الأسئلة الثلاث عليّ أن استهل من البداية وما فعله الشيخ عبد الرحيم شقيق الشيخ سعيد، وكيف سمع الشيخ سعيد نصائح مصطفى بك هيني، كل من سمع أو قرأ أو عايش ثورة الشيخ سعيد يعرف جيداً أن الشيخ سعيد لم يكن موافقاً على قيام الثورة لذلك أجهضت الثورة عندما أطلقت الشرارة الأولى في قرية بيران، ولم يوافق الشيخ سعيد على فعلة أخيه الشيخ عبد الرحيم وفجأة سنحت الفرصة لإقامة ثورة منظمة من قبل الشعب الكردي، لقد رويتها لكم كما سمعتها.

بعد أن اعتقلت الحكومة خالد بك جبري وصديقه الياس بك، أرسل خالد بك خبرا للشيخ سعيد يقول لا تفسحوا المجال أمام مناوشات جانبية، وكان الشيخ بين عشائر الظاظا في ذلك الوقت يرافقه / 200/ رجل يقوم بارشادات وتوجهات، عندما وصلوا إلى قرية بيران وجد ثلاثة رجال خارجين على القانون يقاومون /20/ جندرمة والتجئوا إلى القرية، لكن الضابط التركي طلب الرجال الثلاثة من الشيخ وهم ضيوف بيراني، كان على الضابط أن يترك القرية ويمضي في طريقه، لكن لم يفعل ذلك، بل كرر طلبه، فأرسل الشيخ سعيد كعادته رجلاً إلى الضابط يتوسل إليه ألا يأخذ الرجال، لكن الضابط لم يقبل التماسه، وطلب الرجال بشدة، عندها قال الشيخ لأخيه عبد الرحيم:

- ((سلم الرجال الثلاثة للضابط، لا نريد أن تسوء علاقاتنا مع الحكومة بسبب شيء صغير ولا أخلاقي)) كان الشيخ عبد الرحيم رجلاً صعب المراس، غضب كثيراً من الضابط ومن الشيخ سعيد لأنه طالب بالالتماس وكان عليه ألا يكن ولم يعرف الضابط يعرف أيضاً أنه شقيق الشيخ سعيد، فاسمعه كلمات بذيئة، عندها ضربه الشيخ عبد الرحيم وقتله، وقتل رجاله الجندرمة، وهكذا بدأت ثورة الشيخ سعيد.

لم يعد الشيخ سعيد يعرف ماذا سيفعل لقد خرجت المبادرة من يده، وأشعلت نيران الثورة دون موافقته، والسبب في ذلك هو الشيخ عبد الرحيم ،كان على الشيخ سعيد أن يدفع أخاه عبد الرحيم مع أربعين أو خمسين من رجاله من عشيرة ظاظا للحكومة وهذا ليس ممكناً، لأن الناس ينظرون إلى

عبد الرحيم كبطل ولو أن الشيخ أراد أن يفعل، لم يستطع ذلك حفاظاً على شعور الناس الذين يحترمون أخاه، أو أن يخرج الشيخ عبد الرحيم من البلاد. فكر الشيخ سعيد أن يخرج من البلاد وكان هذا هدف خالد بك أيضاً وخاصة بعد خطيئة عبد الرحيم. لكن قدوم صالح بك هيني وأخيه مصطفى بك غيّرت الموازين وكذلك غيّرت من خطة الشيخ سعيد.

في اليوم الذي أطلقت الرصاصة الأولى في بيران لم يكن للشيخ أي هدف حول قيام الثورة، وكاد أن يخرج من البلاد حتى أن خالد بك رأى أنه من الأفضل أن يلتجيء إلى إيران، لكن عندما جاء صالح بك هيني مع أخيه مصطفى بك إلى بيران وقابلا الشيخ وأقنعاه أن يقاتلا الحكومة دون خوف فقاتل , يمكن للقارئ أن يسأل " من هو صالح هيني كي يقتنع الشيخ به؟

سأروي لكم هنا بشكل مختصر حول صالح بك:

صالح بك* هو من العائلات الكبيرة في هيني، كان من الآغوات وهو رجل متعلم ونشيط ومطلع، لكن منافسيه تغلبوا عليه في هيني وأصبحوا حلفاء الحكومة، لذلك وقف صالح بك مع أعداء الحكومة، عندما كانت المنافسة قوية في كردستان ولدى جميع العشائر وحتى اليوم، فكل من يصبح حليف الحكومة ومن أذنابه، يصبح منافسه عدواً للحكومة، وهذا ما حدث لصالح بك هيني أيضاً، وعلاوة على ذلك كان صالح بك رجلاً متديناً ومتعلماً، وهذا ما جعلت الصداقة قوية بين الشيخ وبين صالح بك، لذلك اقتنع الشيخ سعيد به وقام بثورته. عانى صالح بك الكثير من المشاكل مع منافسه والحكومة ومن يعاني الكثير سيلاقي الأيام السعيدة فيما بعد لأنه يريد أن يغير من حالته، وهو يعتقد أنه لا يمكن أن تكون حالته أسوأ مما هو عليه، وكان صالح في وضع لا يحسد عليه، وبمجرد أن أطلقت الرصاصة الأولى في بيران أراد أن تكون هذه الحادثة دواءً لدائه، لكنه لم يعرف أنه سيصبح سماً قاتلاً ليست له بل للأكراد جميعاً.

بعد أن بقي صالح بك مع أخيه مصطفى ليلتين في بيران، واقنعا الشيخ بإقامة الثورة وفي اليوم التالي شن الشيخ هجوماً على آمد مع عشيرة ظاظا، ورغم أن جنود الأتراك لم يكونوا كثيرين في المدينة، لم يتمكن الثوار من الدخول إلى المدينة، وقبل أن تجمع الحكومة جنودها من البلاد، كان بإمكان الشيخ أن يستولي على جميع مدن كردستان ،توقف جميع الثوار أمام سور آمد لسبب غير منطقي إلى أن وصل جنود الأتراك ،وكان سبب توقف الجنود هو ،وجود ابن مصطفى بك هيني ، (محمود بك) في سجن المدينة ،كانوا يخشون أن يقتل الأتراك محمود بك إن حاصروا المدينة فقد تخلوا عن إنشاء دولة وإفشال ثورة من أجل إنقاذ رجل. وأخيرا شنقت الحكومة محمود بك ووالده وعمه والشيخ سعيد معا.

استغرق اجتماع جنود الأتراك قرابة شهر من روميل وأناضول

* رأيت ابنيه سعيد وعمر في سجن دياربكر (آمد) ورأيت شقيقهم الأصغر حسن في سجن اضنه، يبدو واضحاً مدنية أبيهم من تربيتهم واخلاقهم العالية .

،وكان الثوار ينتظرون أمام السور دون فائدة ،عندما وصل جنود مصطفى كمال المسلحون إلى أراض كردستان، كان ثوار الشيخ سعيد غير المجهزين قد قطعوا الأمل من نجاح الثورة ،لم يبق أحد من الثوار في الساحة عند قدوم جيش الأتراك العرمرم وتركوا الشيخ .

عندما وجد الشيخ أن الثوار قد هربوا من حوله .اتجه إلى منطقة سرهدا مع الثوار اللذين ما زالوا معه. وعندما أفترق عنه بعض الثوار في الطريق ،سلمه قاسم بك إلى الأتراك وأعدم الشيخ سعيد مع رجاله ولم يتحقق أمل الشعب الكردي.

خاتمة الثورة

لم تنطفئ نيران الثورة رغم إعدام الشيخ سعيد وزملائه، التفتت حكومة مصطفى كمال إلى الحركات الأخرى ولم يترك قوة قوية في أراضي كردستان إلا ودمرها. وكل من جمع حوله عدة أشخاص كان عليه ألا يبقي في كردستان، وهكذا بدأ مصطفى كمال بالعائلات الكردية الكبيرة والأشخاص المشهورين والزعماء وقدم كثيرون إلى محكمة الاستقلال، أما الآخرون فقد نفاهم إلى خارج كردستان ولم يعودوا إليها، وقد شمل النفي الأشخاص الذين حُكموا قبل الثورة.

بعد إعدام الشيخ بخمسة أشهر التفتت الحكومة إلينا، فقد وصل تلغراف من محكمة الاستقلال ذات يوم من أيام خريف 1925 مساءً يطلبون عمي شكري و/480 / شخصاً من الذين قدمنا أسماءهم إلى الحكومة كي يسلموا الأسلحة إلى المحكمة. وطلبوني أيضاً مع كثير من رجال العائلة بعد اجتماع عائلي وافقنا أن يذهب عمي شكري وخالي حاجي بشرط ألا يذهب الآخرين ونراقب ما يجري في المحكمة عن كثب.

اخذوا عمي شكري وخالي حاجي حتى ملاطية دون قيد، لكن بعد ذلك ذهبوا إلى (خاربيت) مقيدين، بعد أن أعدم الكثير من الأشخاص في آمد انتقلت محكمة الاستقلال إلى (خاربيت) فقد حاكموا عمي وخالي هناك،

وبعد فترة قصيرة طلبوا الآخرين الـ/480/ رجلاً وأطلقوا سراحنا فيما بعد. جرت محكمة عمي في ست جلسات، كانت المحاكمات لا تدم أكثر من جلستين باستثناء محكمة الشيخ سعيد، وكان سبب ذلك تدخل عصمت باشا رئيس الوزراء شخصياً في قضية عمي ودامت هذه الجلسات الطويلة لسببين:

1_ لم يود عصمت باشا أن تصبح ولاية ملاطية من ولايات الشرق التي لها قوانين خاصة.

2- لا يحب القضاة في البرلمان التركي عصمت باشا وهم من أعداء حاجي بدر بك رسول الذي ذهب إلى ملاطية، ولذلك كانوا يطالبون باعدام عمي.

حدثت معركة حامية بين عصمت وقضاة محكمة الاستقلال بشأن حكم عمي. ورغم أن المحكمة لم تستطع أن تحكم كما تريد (الإعدام) لكن لم يبرئوا ذمته أيضاً، وحكموا عليه بـ/ 15/ عاماً، وخرجنا نحن جميعاً.

حكمت المحكمة حكماً غيابياً علينا نحن / 480 / رجلاً بسبب تدخل عصمت باشا. وغضب عصمت عندما سمع بحكم عمي، حاول أن يزعج جماعة المحكمة، فأرسل حاجي قادر بك في ذلك الوقت رسالة لي يقول فيها: إن الحكم الذي حكموا به على عمك كان بسب حقد القضاة علي وعلى عصمت باشا، رأيت عصمت بعد الحكم فقد كان غاضباً جداً، وعملنا الترتيبات اللازمة، سيأتي عمك إلى أضنه، وسيبقى هناك عدة أيام، وفي نفس الوقت سيذهب غازي باشا إلى أضنه ومارسين في جولة استطلاعية، سأكون أنا وعصمت معه. عندما يصل إلى أضنه، سأقدم لغازي باشا طلب استرحام على لسان عمك ولدينا أدلة أن جماعة محكمة الاستقلال قد ارتشوا في بعض القضايا، لقد اتفقنا أن نقدم عمك إلى محكمة الاستقلال من جديد في أضنه وسيطلق سراحه، وعندها تسنح لنا الفرصة نقدم جماعة محكمة الاستقلال إلى المحكمة نفسها في أنقرة، يجب ألا يعرف أحد بهذا سوى عمك حتى ننفذ خطتنا.

وكل من يعرف قيمة حاجي بدر عند مصطفى كمال وعصمت لا يعلق آمالاً كبيرة عليه، عندما كان عمي يحاكم في محكمة خاربيت، كان يتحدث عن إقامة الثورة مع بعض زعماء الأكراد في السجن، وأذكر شخصاً من أولئك الأشخاص هو حسن خيري من ديرسم فقط.

اتفق الجميع على إشعال نيران الثورة من أجل استقلال الأكراد في حال إنقاذ أحدهم من حكم الإعدام، وأقسم الرجال معاً ألا يخرج أحد من أرض كردستان عن طيب خاطر ولا يستلموا للحكومة.

وبناء على هذا الاتفاق أقسم الجميع ألا يتراجعوا عن مواقفهم وألا يحنث أحد بوعوده، عندما حكم على عمي أرسل خالي حاجي إليه رسالة أن يخرج من كردستان. وقد أخبرني عمي بعد الاتفاق الذي تم بينه وبين حسن خيري: عندما تستلم التلغراف وأطلب منك مائتي ليرة ذهبية، يجب أن تنقذ عمك من أيدي الجندرمة. كان عمي في خاربيت في الشتاء وكانت

الجبال مليئة بالثلوج، وهم يريدون أن يرسلوه إلى Muxlê لذلك يجب عليه أن يسلك إحدى الطريقتين أولاً ملاطية، سيواس، أنقرة. وثانياً آمد – رها –أضنة. وباعتبار أن الجبال مليئة بالثلوج كان عليه أن يسلك طريق آمد، رها، أضنة .

كان عمي رجلاً شهماً يحترمه الناس وكذلك أخذ بعين الاعتبار تدخل عصمت باشا في قضيته، لذلك قدمت المحكمة بعض التسهيلات له أثناء نقله إلى سجن آخر فقد سمحت المحكمة أن يذهب عمي على حسابه الخاص من خاربيت إلى Muxelê ، ويرافقه ضابط وشرطيان آخران في كل ولاية ليصبح أربعة من الجندرمة مع ضابط واحد، ويستأجر سيارتين لهم. سيارة لعمي والضابط ونجم الدين الذي يقوم بخدمته، وسيارة أخرى لرجاله الشرطة الأربع. وكل هذا كان على حساب عمي، هذه هي التسهيلات التي سمحت بها المحكمة.

استلمت تلغرافاً من عمي في أيام شباط / رمضان عام 1926، يطلب مني أن أرسل له مائتي ليرة ذهبية إلى رها، استعدت للذهاب صباحاً يرافقني ستة رجال واتجهنا إلى رها. كان يجب علينا أن نقطع المسافة بين رها وقريتنا التي تقدر بأكثر من مائة كيلومتراً، وعلينا أن نصل في نفس اليوم حتى لا تسبقني قافلتهم ولم أدع الفرصة تفوتني، لذلك أسرعت، ووصلنا إلى رها قبل غياب الشمس بساعتين، سألت عنه في الكراج قالوا لي لم يصل بعد. أودعت رجالي مع الخيول في خانة ما وانتظرت قدومه، لا يمكن إخفاء شيء عن رجال العشيرة عندما خرجت من القرية كان الجميع يعرف سبب خروجي. يقول المثل الكردي: "إن تعدى السر أكثر من رجلين لم يبق سراً " وكنت أعتقد أن أحداً لا يعرف سبب خروجي، وبعد يومين أو اكثر، وخلال هذه الفترة، سأنفذ خطتي، لكن لا تبدو الأمور كما نشتهي، عندما وصلنا إلى آمد هطلت أمطار غزيرة استمرت خمسة أيام. ولم تكن الطرقات جيدة كم هي الآن، عندما تهطل أمطار تتعطل السيارة مدة يومين فكيف إن هطلت خمسة أيام، بقينا سبعة أيام في آمد. وأثناء ذلك أخبر خصومنا الحكومة بأنني سأخطف عمي في اليوم الثاني بعد وصولنا إلى أمد وبعد سماع الضابط بالخبر، أخذوا عمي من الفندق إلى السجن وفي رها أطلقوا مجموعة جواسيس وشرطة ورائي. لو لم تخدمني المصادفة لما استطعت أن أخطف عمي. وقد ساعدتني الشجاعة والمصادفة أن أنقذ نفسي من الجواسيس أيضاً.

عندما وصلت إلى رها، وعرفت أن عمي لم يصل بعد فقد ارتحت قليلاً، ومن يعرف ركوب الخيل يعرف تماماً أن قطع مسافة / 100/ كم في يوم واحد على الخيل كم هو متعب ،وخاصة أننا سنقطع نفس المسافة عائدين. لذلك كنا نحتاج إلى استراحة يوم أو يومين. بدأ هطول الأمطار ليلاً واطمأننت أكثر، هذا يعني أننا سنرتاح يومين، وعندما لم يتوقف المطر في الليلة الثانية والثالثة بدأت المخاوف تراودني، خاصة لم تكن الخطة سرية، وليس مستبعداً أن تسمع الحكومة بها. لذلك اتخذت جميع التدابير اللازمة .

منعت رجالي أن يخرجوا إلى المدينة أولاً، أسكنتهم في الطابق الأخير من الفندق، وكنت أرسل إليهم الطعام والشراب والدخان صباحاً ومساءً، ثم غيرّت مكان إقامتي، حيث أنني لم أنم ليلتين في مكان واحد. أوصيت البيت الذي كنت ضيفاً عليه أن يخبروني عن أي طارئ عندما يسأل عني الشرطة وأن يقولوا للشرطة: "ذهب منذ يومين إلى البيت " بعد أن اتخذت الاحتياطات خلال /24/ ساعة عني سألت الشرطة قيل له إنه: "ذهب " فأخبروني بسرعة. كنت أتجول في المدينة بعد أن غيرّت شكلي كي لا يتعرف الشرطة عليّ وفي المساء كنت أقصد

دائماً الكراج لأرى إن كان عمي قد وصل أم لا. ثم اذهب إلى الفندق لأرى إن كان رجالي بحاجة إلى شيء ما أم لا.

تزداد أسئلة الشرطة والجواسيس عني، وأصعب الأيام هو اليوم الرابع والخامس عندما كان الأكراد يسألون عني، وكلٌ يطلبني بحجة، والغالبية من معارفي، كنت أفقد الأمل تدريجياً من إنقاذ عمي .وكان عمي تحت الحراسة الشديدة. وطالما يلاحقونني، فمراقبة عمي أكثر صعوبة، يعني أن المهمة الموكلة إليّ كانت صعبة جداً .

هجرت النوم، وبدأت أفقد الأمل تدريجياً ماذا يقول الأصدقاء والأعداء عني عندما أعود إلى البيت دون عمي؟ أن أقول لهم إن الحكومة لم تتركني أن أنقذ عمي أو أنها ستسجنني، يا لفرحتي، كيف يصدق عمي بما أقوم به؟

لن يوكلني بمهمات أخرى، كان هذا الإحساس يؤلمني كثيراً، ولم أجد طريقة أمامي فأستسلم لله. كنت أنام قلقاً مضطرباً، وأستيقظ في الصباح، لم أسمع سوى أسئلة الشرd لحقوا بنا أو أنهم لا يتجرؤون بعد شروق الشمس أن يلحقوا بنا في سهل بوزهواي.

وصلنا إلى العشيرة بعد الظهر بساعتين، وكان أقرباؤنا مسرورين جداً، ولا أعرف إلى متى استمرت الفرحة ترتسم على وجوههم.

الفكرة التي بلا جدوى

إن فكرة القيام بثورة جديدة، قد لا تكون صعبة إلى حدٍ ما وليست هي سهلة أيضاً، هذه تتطلب الوعي والتضحية والشجاعة. ومن يقم بالثورة دون هذه الأوجه الثلاث فلن يستطيع إحداث ثورة شاملة.

ربما يخفق كما حدث لعمي شكري وراح ضحيتها أصدقاؤه ورفاقه.

القناعة وحدها لا تكفي لإقامة ثورة جديدة. كان عمي مقتنعاً فقط وآراؤه حول الثورة بدائية. لم يتحدث عن الثورة في الطريق، وعندما وصلنا إلى البيت، اجتمعنا في بيته مساءً لنتشاور .. رأيته يتحدث بحماس وكان مضطرباً أو أنه مخدوع. عندما سألته: هل فكرت بإقامة ثورة ؟.

رد علي بلهجة باردة: يجب أن يساعدنا جميع أصدقائنا، سأكتب إلى جميع الزعماء الذين من حولنا، وأعرف أن الجميع سيساعدوننا لأنهم غير راضين عن تصرفات الحكومة.

لقد تغيرت نبرة صوته، اندهشت للرجل الذي كان يقول قبل يوم، إن لم تستطيعوا أن تنقذوني من الأتراك فاقتلوني دون تردد لن أخرج من كردستان إلا على جثتي، ويطلب اليوم المساعدة من زعماء العشائر الصديقة ". قلت له: إن لم يساعدونا زعماء العشائر الصديقة فماذا نفعل ؟:

يبدو أنه لم يفكر بهذا أبداً قال: يجب أن يساعدونا، أليس الوطن لنا جميعاً؟ أليس الجميع غاضبين من حكم مصطفى كمال، لذلك يجب أن يساعدونا.

تحدثت بلهجة قاسية، لم أتحدث بها من قبل أمامه أبداً قلت:

عندما يتراجع الزعماء ستساعدنا العشائر دون موافقة زعمائهم ويلتحقون بالثورة بشرط أن نسرع في الثورة ولا نفتر حماسهم.

وكأن عمي لم يسمع كلامي فلم يجب. كتبنا رسائل إلى رؤساء العشائر الذين يعتمد عليهم، عمي وطلبنا منهم المساعدة في إقامة الثورة خلال الأيام القليلة القادمة، جاءت الأجوبة خلال ثلاثة أيام، يقولون: لن نتأخر عن تقديم المساعدة عندما نرى أنكم بحاجة للمساعدة "

جاء بدري ابن اوسمان باشا جيفوزي بنفسه وتحدث إلينا، فرحنا كثيراً، وفي اليوم الثالث قلت لعمي: كل يوم نتأخر فيه، نفقد جزءاً من أملنا وحماسنا، نستطيع أن نجعل رؤساء العشائر الذين حولنا حلفاء لنا وعندما نقتنع بكلامهم سيكونون أصدقاءً لنا، هل كان علينا أن نثق بكلامهم ونترك فرصتنا المتاحة؟

بقي عمي صامتاً ولم يجب عن سؤالي: اعتقدت أنني أستطيع أن أفعل شيئاً عندما ألملم شتات أفكاري ولا أهتم للآخرين وصديقي الوحيد هو

مسدسي وبندقيتي.
أستطيع أن أتحدث هنا باقتضاب عن رجال عشيرتنا والعشائر الصديقة والحليفة ليتمكن القارئ من معرفة مدى أهمية القيام بالثورة وهل نستطيع أن نقوم بهذه المهمة أم لا؟.
استولت عشيرتنا على سهول جانبنكه وأما المناطق الأخرى لمنطقة بيتركه ودريشان وهاريا جرجران وجميع قرى ظاظا من حلفائنا وكذلك قضاء كخته وعشائر رشويان وكاوان وجافوزيان.
كانت عشيرة جافوز تحت حكم ابن قاسم باشا، و في الحقيقة كانت هذه العشيرة تحت حمايتنا منذ عدة سنوات خلت وقسمناها إلى أربعة عشائر وكل قسم تحت إمرة وجيه من وجهاء العشيرة ومرتبطة بنا.
طردنا ذات يوم ابن قاسم باشا من عشيرته وبعد عدة سنوات سمحنا له بالعودة ثانية، وكان السبب في ذلك تلك العداوة بين والدي وقاسم باشا، حتى انتهت بولاء ابن قاسم لنا.
منذ ذلك اليوم بدأت العداوة بيننا وبين قاسم باشا ولم تتضح هذه العداوة بشكل جلي، لكنها كانت تتوقد من الداخل، عندما نقول المعاهدة بين العشائر فلا أحد يذكر في التاريخ أنه يمكن أن تنهار علاقة الحلفاء بين العشائر. وإن فعل أحدهم فكان يقتل نفسه بيده فعلاً، ثم إن هناك احتراماً خاصاً لعائلتنا بين العشيرة وكان سببه، الشجاعة والشهامة التي عرف بها رجال عشيرتنا وعائلتنا، ولم ننقض يوماً العهد، ولم يستطع فرد من افراد العشائر الأخرى أن يخدعنا ويحنث بعهده. مثال عندما يتخاصم المتنافسان ويتغلب أحدهما على الآخر كان يطلب المغلوب أن يسلم نفسه ويطلب الأمان من زعيم أو وجيه، فكانت غالبية العشائر تطلب من عائلتنا الأمان. وعندما يقطع وعداً على نفسه لا يستطيع أحد أن يخون أو ينقض العهد، وعندما كان أحدهم يلوذ بنا، يلتزم الأخر خوفاً منا بالعهد وإن نقض العهد فسيكون الموت بانتظاره بلا شك. كافة العشائر التي من حولنا لاتنقض عهدنا، وإن كانت بيننا عداوة.
كان بين تلك العشائر أكثر من / 20 / ألف جندي تحت السلاح و/ 8 / ألف ثائر، عندما نقول حامل السلاح، فهذا يعني أنه ذلك الرجل الذي يملك البندقية، عندما أقول الثوار يعني الذين يعرفون كيف يتعاملون مع البندقية. كل هؤلاء كانوا مرتبطين بعمي شكري ومتطوعين له، ويقدمون أرواحهم رخيصة من أجل عمي ويتراكضون إلى الموت في زمن الثورة والموت.
نسيت أن أروي للقارئ الظروف التي أراد عمي أن يقوم فيها بالثورة. ترى هل هذا هو الظرف الذي يمكن لأمريء أن يقوم بثورة في كردستان ؟.
اعتقد أن الشيء الوحيد الذي جعل عمي يقوم بثورة هو الاعتماد على رجال كحسين خيري، ولن يأتي الظرف المناسب إلا مرة واحدة في سنة.
بعد إعدام الشيخ السعيد، اقتنع مصطفى كمال أنه لم يعد هناك أحد يستطيع أن يرفع رأسه أمامه، أراد أن يُحدث في ذلك الوقت العصيب

تغيرات جديدة بصورة شكلية لتحضير الشعب لمرحلة قادمة وأحد هذه التغيرات هو ارتداء القبعة مجبراً بدلاً عن القلنسوة التي كان الناس يرتدونها. ومن ينتهز الفرصة في ذلك الوقت ويقوم بثورة أو أي تغير أو مناوشة مع الحكومة لساعدته غالبية كردستان، وكان عمي يعرف هذا تماماً، لكن لم يترك نجم الدين الخائف أن ينال عمي هذا الشرف الكبير.

أراد عمي أن يثق بكلام زعماء العشائر الصديقة، وينتظر مساعدتهم، لكن رغم صغر سني وعقلي غير الناضج وجدت أن عمي على خطأ. لم أكن أعارضه من قبل قلت: لقد خدعنا أنفسنا واعتقدنا بكلامهم. لن نستشيرهم بعد الآن، عندما نقوم بثورة سيلتحقون بنا رغماً عنهم، لأن الشعب / العشائر معنا، ورغم ذلك لم ينتبه عمي إلى كلامي يبدو أن نجم الدين قد غيرّ رأيه الذي كان يكره الحروب والمعارك، قضينا أياماً بين المشادات الكلامية والظنون، ولم ننتهز الفرصة الذهبية.

مضت عشرة أيام ونحن في انتظار مساعدة زعماء العشائر الصديقة، والناس يفقدون الأمل كل يوم كانوا يريدون أن يثق عمي بهم لأن زعماء العشائر سيساعدوننا حقاً، واستسلم عمي هذه المرة لزعماء العشائر علماً أنه لم يستلم يوماً لأحد. وصلت طلائع جيوش الأتراك إلى حدود المنطقة في اليوم الثاني عشر. وقد أخبرهم الجواسيس عن خططنا وخلافاتنا وترددنا. لم يتجاوز الجنود أكثر من / 15 / كيلومتراً وبنفس الوقت كانوا يقدمون الخدمات للناس أثناء قدومهم ولم يزعجوا أحداً، وقد استمالت الحكومة الناس إلى جهتها وامتص غضبهم وحماسهم مما أدى إلى فتور الحماس وتلاشيه ودب الخلاف بين العشيرة ومال الناس الى جانب الأتراك وهم أهل عشيرتنا الذين يرون في الثورة أحلامهم وآمالهم قبل / 12 / يوماً.

يتحمل عمي مسؤولية هذا الوضع، وعندما وصل جنود الأعداء إلى حدود العشيرة لم يبق أحد معنا سوى بعض الرجال الشجعان فالتجأنا إلى الجبال بفضل نصائح نجم الدين، ولطول انتظارنا وعدم مساعدة الآغوات لنا تردد عمي. التجأنا إلى الجبال اذ لم يبق شيء أمامنا إلا اللجوء إلى الجبل. قبل أن نلتجئ إلى الجبال بيوم واحد أراد عمي أن يزعج زعماء العشائر الذين طلبنا منهم المساعدة ولم يلبوا قلت انذاك: لقد فقدنا الفرصة في إقامة الثورة، هيا لنهرب على الأقل ولا نفقد الفرصة ثانية.

اسمع كلامي هذه المرة لنأخذ عائلتنا ونذهب إلى سوريا، إن فقدنا كل شيء فلا يجب أن نفقدك أنت ونفقد أنفسنا، أنت أملنا)).

اقتنع عمي بهذا الكلام كي لا نفقد الفرصة رد علي وقال:

-صحيح، لقد أخطأت لأنني لم أقم بالثورة في اليوم الأول، وصدقت رؤساء العشائر، وفقدنا الفرصة. كل الذين ذهبوا إلى سوريا خرجوا من الوطن ولا نملك شيئاً سوى الخروج.

قلت له: - ألا يمكن أن نفقد فرصة الذهاب أيضاً قال: -"لا" فقدنا فرصة الثورة وسلمنا عائلاتنا إلى أناس ضعفاء لا يستطيعون حماية

عائلاتنا، والتجأنا إلى الجبال .
_ ترى هل هرب عمي من السجن كي يلتجأ إلى الجبال ؟. أين هي وعوده التي قطعها على نفسه مع الرجال أين تلك الأهداف التي يريدها من الثورة ويقوم بها؟ عندما لا يستطيع أن يقوم بثورة لماذا يلتجيء إلى الجبال؟ راودتني تلك الأسئلة. طالما لا يستطيع أن يقوم بعمل فلماذا يتحدث، وما كان يستطيع فعله هو أنه عندما يريد الله أن يفضح أحداً يحرمه من نعمة العقل وفلا يعرف ماذا يفعل استنتجت من كلامه أنه أدرك خطأه، لكنه لا يعرف ماذا يفعل.
وأستطيع القول بأن عمي كان يؤمن بالعقل حتى في تلك الفترة و لم يكن هناك رجل مثله في المنطقة كلها، كان نشيطاً ومطلعاً. لكن لماذا لم يقم في اليوم الأول بالثورة ولماذا اخطأ في التقدير؟
يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال التجارب التي جرت لي التي قمت بها خلال 35 سنة، سأجيب بشكل مختصر جداً أي في جملة واحدة: ((لأنه كان قروياً))
هل القروي عار وخطيئة ؟؟ علينا أن نبحث عن هذه الإجابة.
عادة يتم تنصيب الآغا بين الأكراد من قبل الشعب ومنصب الآغا يأتي من الاحترام والفخر، لكن عندما أصبحت مشورتهم بيد الحكومة التركية أصبح هذا المنصب حسب المكان والظرف تهريجاً وسخرية وخيانة وقد يصل أحيانا إلى مرتبة الجاسوسية.

فرار من غير هدف

عندما سلمنا أموالنا وعائلاتنا إلى الأصدقاء والحلفاء الضعفاء والتجأنا إلى الجبال، فَقَدَ الثوار الأمل في قيام الثورة كنا نلاحظ هذا الشعور في عيون الثوار والناس ولم نتأمل خيراً من التجائنا إلى الجبال، لأننا لم نفعل شيئا ولم نعارض الحكومة إلى متى نستمر في الجبال؟؟ يبدو أننا لن نستطيع الاستمرار أكثر لان الثوار والأصدقاء يتناقصون كل يوم، كنا نغضب من الأصدقاء الجبناء دون أن نتذكر ضعفنا وخوفنا وجبننا ، من يهرب من العدو لن يحترمه الآخرون ونحن نهرب من الحكومة .
يدير الأصدقاء وجوههم عنا، وربما يقولون أشياء أخرى بعد أن خرجنا إلى الجبل، لم يستشرني عمي حول أية قضية يبدو أنه كان يتضايق من أفكاري، تجولنا قرابة شهرين في الجبال بلا هدف ولا أمل. أثناء ذلك علمت الحكومة كل شيء عنا مثلاً أين تركنا عائلاتنا، وأين تكون وما هي تصرفاتنا والصفات التي يتحلى بها كل واحد منا .وعلاوة على ذلك أصبح أصدقاؤنا الآغوات والبكوات حلفاء الحكومة وقد استولت الحكومة على المنطقة دون قتال، ثم شنت هجوماً قوياً علينا.
لم يخسر القرويون شيئاً واستولت الحكومة على بيت عميَّ الاثنين وبيتي أنا فقط دون أن تُزعج القرويين .
القائد الذي استلم قرار القبض علينا كان نشيطاً، وخلال فترة قصيرة

أعطى فكرة حسنة للقرويين عن الحكومة وأصبح صديقاً مع جميع رؤساء العشائر الذين وتجسسوا لصالحه، كان هدفه الأساسي ألا يترك لنا أصدقاء ويصبح الجميع معه ضدنا حتى يقبض علينا دون قتال ويمتص غضب الناس، ثم يوجه الجميع ألينا لنفقد عزيمتنا، كان يقول للأشخاص الذين حوله وخاصة أصدقائنا، لماذا قسَّم شكري جنوده إلى ثلاثة أقسام؟ كانت الحكومة تحترمه كثيراً، أما اليوم فلا أعرف .. ربما يتقدم إلى المحكمة مرة أخرى بتهمة الهرب من السجن

هذا ما جعل الأصدقاء يتراجعون عنا ويفقد عمي عزمه وحماسه. أبعدت هذه السياسية المضادة كل أصدقائنا عنا بعد أن ابتعدت العشائر والأصدقاء عنا شنت الحكومة هجوماً علينا عن طريق الخونة والجواسيس الذين يحاولون الاقتراب من الحكومة. أرسل الضابط لي رسولاً: " إن سلمت نفسك للحكومة سيحترمونك كثيراً. أجبته بقسوة وأعدت الرجل إليه. وبعد ذلك أرسل الى نجم الدين وأعمامي وهو يعرف بأن ما يشيع بين الناس والأصدقاء لا بد أنه سنسمع كل ما يقوله وبدأت الإشاعات والأقاويل تعمل فعلها كي نتخلى عن السلاح، وتقتل ارادتنا وعزيمتنا كانت الأرض تضيق بنا من جهة ومن جهة أخرى يقودنا إلى طريق الاستسلام. عرفنا هدف القائد التركي وهدوءه فيما بعد. كان يدور في ذلك الوقت تحركات لإقامة الثورة في أربع مناطق من كردستان. لو كنا نقوم في اليوم الأول بالثورة غير مترددين لكنا انتصرنا. لكن متى يستطيع رجل من الآغوات أن يقوم بثورة حقيقية وهو يملك عقلاً وفكراً عاجزاً؟

كانت الحركات والتصرفات التي يقوم بها الآغوات من أجل الحفاظ على حياتهم وأرواحهم فقط. أما عائلاتنا وأطفالنا كانت مع زينل بك زعيم رشويان، والبعض الآخر عند بدر آغا زعيم جافوزان، عندما دخل الحاكم التركي فقدنا أملنا نهائياً أراد زعماء العشيرتين أن يتصرفوا إما:

أن يسلم عائلاتنا إلى الحكومة وقد هدد الضابط تلك العشيرتين أنه سيأخذ أطفالهم عوضاً عن أطفالنا في حال منع العشيرتين تسليم عائلاتنا .

عندما علمنا بقرار الحكومة كان أمامنا طريقتان أولاً: أن نأخذ أطفالنا بالقوة من بيت الزعيمين ونخرج من الوطن وثانياً إما نستسلم للحكومة.

تحدثنا ثلاثة أيام حول الطريقتين وأيهما الأفضل بالنسبة لنا، اخترت أنا وعمي نوري الطريقة الأولى يعني أن نخرج من الوطن، وأختار نجم الدين الطريقة الأخيرة بأن نسلم أنفسنا للحكومة، أما عمي شكري فقط كان متردداً في اختيار إحدى الطريقتين، ثم أختار طريقتنا في اليوم الثالث. ووجد أن الخروج من الوطن أفضل وسيلة.

لكي نخرج من الوطن يجب علينا أن نخطو الخطوات التالية: كان علينا أن نحضر مجموعة من الخيول والجمال نستطع الحصول على قطيع من الخيول والجمال، وأحضرت بعض الرجال من أجل إحضار بعض الحيوانات للنقل، وافترقت عن عمي. كان يجب أن آتي بعد ثلاثة أيام إلى قرية هونيه " Honiy. وسنلتقي هناك، وعندما عدت لم أجد سوى عمي

نوري وبعض الرجال. قال عمي نوري بحزن:
-بعد ذهابك. فتح نجم الدين مرة أخرى طريق المناقشة، وخدع عمك وأقنعه أن يسلم نفسه للحكومة فذلك أفضل بكثير من الخروج من الوطن، سمع شكري كلامه، وذهب البارحة كي يسلم نفسه للقائد التركي .قال لي:
-عندما يأتي اوسمان، تعالوا جميعاً إلى قرية (نارنجه) قريتنا، إن أرسلت إليك ستأتي وتسلم نفسك أيضاً.
سألته: - لكن ماذا جرى لنجم الدين؟
-بعد أن خدع عمه افترق عنا واختبأ وحيداً
-ألم تستطع أن تمنعه حتى آتي إليكم.
-لم يسمع كلامي ولم يرغب في رؤيتك وذهب إلى القائد قبل عودتك.
تحطمت آمالي نهائياً ويئست تماماً لم أعد أعرف ماذا أفعل. علمت من عمي نوري أنهم تناقشوا ثانية حول الخروج من الوطن وقال نجم الدين لعمه: بعد أن أرعبت الحكومة زينل وبدر بأنها ستنفي أولادهما لن يُسلم زينل وبدر أولادنا بسهولة ويجب أن نقاتلهما. هل تقتنع بهذه العملية؟
توقف عمي عاجزاً أمام أصدقائه رؤساء العشائر واختار طريق الاستسلام ثم اخبر القائد التركي بأنه يستطيع أن يسلم نفسه مع أخيه نوري لكن بشرط ألا أُعتقل. وافق القائد التركي على شرط، وقد ذهب ليسلم نفسه قبل أن آتي .
اتجهنا إلى (نارنجه) والحسرة تعصرنا بعد ذهابه لقد أخذوا دون قيود ولا حراس عندما سمع أننا اقتربنا عن (نارنجه) أرسل إلى نوري كي يسلم نفسه أيضاً لذلك بقيت مع رجالي في الجبال وحيداً.
بعد ذهاب عمي نوري بيومين خرج جنود الأتراك من البلاد. عندما لاحظت انهم تركوني فعلاً جئت إلى القرية ومن جديد اجتمعت العائلة وسكنا في القرية.
رغم عدم نضج عقلي كنت أفكر لماذا قررنا أن نقوم بثورة ولماذا لم نطلق شرارة الثورة منذ البداية هل كنا بحاجة أن نفعل هذا ونتورط، لم أجد جواباً شافياً وصحيحاً حول هذا السؤال، لكن الآن لم يطلب الجواب من أحد. الشعب الذي يكون قواده آغوات ضعفاء وشيوخاً جهلة ستكون عاقبة هذا الشعب الاحتلال كما جرى معنا .

محكمة الاستقلال وخيانة بدر باشا

بعد أن سلم أعمامي الاثنين أنفسهما إلى الحاكم التركي، لم يعتقل أحد من عائلتنا وعشيرتنا فاعتقل زينل بك رئيس عشيرة رشويان وبدر آغا ابن اوسمان باشا لأنهما أخفيا عائلتنا وبيتنا قبل اعتقال عمي بعدة أيام. وعندما أرسل الزعيمين إلى ملاطية، أعادوا بدر آغا في الطريق إلى حاكم تركي وبعد أن قابله أطلق سراحه. وأفشى بدر آغا جميع أسرارنا كما يعرفه الحاكم. عندما وصل عمّي مع أوراقهما " ملفاتهما " إلى محكمة الاستقلال، طلبت المحكمة خالي حاجي وابن عمي نجم الدين و/ 11/ رجلاً من عشيرتنا وطلبتني من جديد .

أعتقل جوهري زاده حاجي عمر من " رها " كان سبب اعتقاله أنه عندما وصل عمي إلى رها جاء حاجي عمر إلى الفندق ليزوره، وهكذا اتهموه هو ايضاً بخطف عمي.

عندما طلبونا للمحكمة لم يكن أمامنا أي حجة كي لا نذهب، لذلك ذهبنا حتى ملاطية بشكل عادي دون قيود وبعد ذلك قيدونا وخاصة بين ملاطية وخاربيت و قيدونا في ملاطية، ثم فكوا القيد في خاربيت بعد / 48 / ساعة. ركبنا في اليوم التالي سيارة قديمة وأخذونا إلى ديار بكر.

وصلنا إلى السجن قبل غياب الشمس بقليل لم ندخل السجن ذهبنا مباشرة إلى مكان الإفادة , ولم يكن النائب العام موجوداً فبقينا أمام دائرته حتى هبط الليل ثم أخذونا إلى السجن من جديد على أمل أن يأخذونا صباح غدٍ إلى النائب العام للإفادة، أدخلونا النظارة، وكان يوجد في النظارة سبعة رجال قبلنا. منهم من كان نائماً. ومنهم من كان جالساً يروي القصص والحكايات، وقد تمدد رجل على ظهره يتحدث بصوت خافت، بعد السلام، جلسنا سأل أحد زملائنا من أين أنتم أيها الرجال وما سبب اعتقالكم؟ وتحدث شخص كمسؤول ثم سأل أحدهم لماذا أنتم معتقلون ومتى جئتم؟

رد أحدهم على صديقي ببرود قال " اعتقلنا من أجل الثورة وقد حكمنا وسنشنق هذه الليلة "تجمدنا في أماكننا، حتى ذلك الوقت لم نر رجلاً ينتظر حكم الإعدام .لماذا وضعونا هنا بين هؤلاء الذين سيعدمون؟ راودتنا الأفكار والظنون والأشباح حتى تعبنا ولم نستطع أن ننام من شدة التفكير والظنون .

عندما عرفت أن هؤلاء سيعدمون، أردت أن أتحدث معهم قليلاً. التفت إلى كبيرهم وقد تجاوز أكثر من مائة عام ولم يستطع أن ينهض أو يجلس دون مساعدة أحد.

-لماذا سيعدمونك ولأي سبب؟

-ما هي التهمة التي ألصقوها بك ؟
لم يسمع العجوز صوتي أو لم يفهم جيداً. يبدو أنه ثقيل السمع، عندما رفع صديقه صوته عالياً وأخبره ماذا أريد منه رد علي بوجه بشوش وقال:
عمري مائة وعشرون عاماً. أما التهمة التي نسبوها إليّ فهي قيادة الثورة في منطقتنا. هل يقود رجل مثلي قيادة ثورة؟ لكن لقد أراد الله أن أقتل بيد الظالم، حمداً لله .
قبل أن ينهي كلامه كانت علائم التعب بادية على وجهه، أشرق وجهه تدريجياً وعاد يلعب بسبحته من جديد.
كنت قد تعبت كثيراً في ذلك اليوم وعلاوة على ذلك توقفنا أمام دائرة النائب العام اكثر من ساعتين دون أن نجلس. أردت أن أنام قليلاً لكن لم تسنح لي الفرصة. كان عمي شكري قد سمع بقدومنا.
لا أعرف كيف أقنع الحارس وجاء إلينا تحدث معنا لفترة. سألنا عن وضع البلاد، ثم أخبرنا كيف نقدم إفادتنا ، بعد أن ذهب عمي نمت دون علم مني. عندما استيقظت من النوم باكراً لم أجد أحداً غيرنا في النظارة. أخذوا الشيخ أمين مع زملائه الستة قبل الفجر. رأى اثنين من أصدقائنا عندما أخذوهم. تقدموا كالابطال دون خوف أو وجل إلى خشبه الإعدام.
قضينا أربعة أيام في النظارة لم يطلبنا أحد للإفادة، يبدو أنهم اكتفوا بإفادتنا في ملاطية و أخرجونا من النظارة إلى السجن. إن محكمة الاستقلال ليست بحاجة إلى الإفادة، والشهود والإثباتات والأدلة. يكفي وجود ضابط وإفادة موظف صغير كي يعدم عشرة أكراد.
عندما قلتُ " إفادتنا في ملاطية "، يتذكر القارئ أنهم اخذوا فعلاً إفادتنا. لكن لا لم يأخذ أحد إفادتي وأقوالي كعادتهم. أخذني قائد اللواء في ملاطية إليه. كانت إفادتي مدوناً أمامه، عندما التقيت به سألني:
هل تستطيع أن تنكر أنك لم تخطف عمك شكري، ولم تلجأ إلى الجبال معه؟
قلت: لا. لا أنكر هذا .
قال " إذاً هيا وقع على أقوالك وقعت على الإفادة هذه هي إفادتي التي أخذت في ملاطية، كنت متهماً بجرم كبير ورغم ذلك أنهى الإفادة بجملتين فقط وجعلني أوقع عليها. لقد وضعت محكمة الاستقلال في كردستان من أجل الأكراد فقط.

شهر في سجن ديار بكر

إن لم أكن مخطئاً، وصلنا إلى سجن ديار بكر في / 12 / أيار تركونا أربعة أيام في النظارة، وحاكمونا في / 16 / حزيران، يبدو أننا بقينا شهراً بين السجناء بحرية. كنت انذاك قروياً لا أفهم شيئاً، يستطيع المرء أن يلاحظ أشياء كثيرة في هذا الشهر، لكن عقلي غير الناضج أفقدني فرصة

كبيرة، عندما وصلنا إلى ديار بكر كانت المحكمة متوقفة عن إطلاق الأحكام، ثم استأنف في أول شهر حزيران كانت تطلق كل يوم أحكاماً ظالمة وعجيبة بالجملة. رأيت محاكمة رجلين كانت بعيدة كل البعد عن الحقيقة. ولا يمكن أن أنساها حتى الآن، الأولى كانت محاكمة جميل جتو والثانية أوزر آغا سلوبي.اعتقد أن هاتين المحكمتين تستحقان أن يكتب المرء عنهما،لا لأجل مكانة الرجلين لكن من أجل غرائب الاحكام التي تطلقها المحكمة عندما أتحدث للقارئ عن هاتين المحاكمتين ليتعرف القارئ كيف كان الأتراك يحاكمون الأكراد، فأنا أروي ظلم الأتراك حول كيفية إطلاق الأحكام على الأكراد.

محاكمة أوزر آغا

التهمة التي وجهت لأوزر آغا هي أنه أرسل قائمقام جزيرة بوطان تقريراً إلى أنقرة في عام 1919 يقول إن (أوزر آغا سلوبي وابن شقيقه محمد عبد الكريم ملا صادق وعمه زكي مع ستة من رجاله كانوا يراسلون الضابط الإنكليزي في الموصل) . ولا يوجد شهود ولا دلائل على تقريره عندئذ لم تهتم الحكومة للتقرير. وانتقل القائمقام من الجزيرة ثم أنتقل قائمقام آخر وجاء الثالث وكان حاقداً على الناس في عام 1926. أخرج من ملفاتهم صورة ذلك التقرير وقد أرسله مع ضابط إلى محكمة الاستقلال كان من بين احد عشر رجلاً، ثلاثة رجال أقرباء أوزر آغا دخل ثلاثة من رجاله قبل أربع سنوات بتهمة قتل رجل إلى سجن سيرت كانت العقوبة عشر سنوات وكان زكي خادم عبد الكريم ملا صادق يبلغ ستة عشر عاماً في عام 1926م.

قال زكي برباطة جأش لرئيس المحكمة ((يبدو من هويتي وتقرير طبيب الحكومة أن ميلادي صحيح يعني عندما كتب القائمقام تقريره كنت

في التاسعة من عمري .هل يستطيع طفل في التاسعة من عمره أن يتعامل بالسياسة ومع الدول الأجنبية ؟))

لن يجرؤ امرؤ يملك ضميراً حياً أن يتفوه بكلمة بعد سماع هذا الكلام، رغم ذلك صرخ رئيس محكمة الاستقلال وقاطع حديث زكي. يبدو أن رئيس المحكمة يصدق القائمقام التركي حتى ولو كان كاذباً وقد حكمت المحكمة على زكي وثمانية رجال آخرين بالإعدام، لكن لأنه لم يقطع بعد مرحلة الطفولة، خففوا عنه الحكم إلى /15/ سنة.

وقد حكمت المحكمة على ثلاثة من رجال اوزر آغا غيابياً بالإعدام على أنهم كانوا في سجن سيرت وأعدموا في سجن سيرت.

أعدم ثمانية رجال بدون شهود ولا إثبات بناءً على تقرير القائمقام. وثلاثة منهم لم يعرفوا أن محاكمهم تجري في ديار بكر. أرسلوا التلغراف إلى سيرت وقد أعدموهم هناك، دون سؤال. هذه محاكمة واحدة رأيتها من المحاكم الظالمة في ظل حكم مصطفى كمال .

محاكمة جميل جتو

كان جميل جتو واحداً من الآغوات الذين تحالفوا مع الحكومة التركية، لكن لا أعرف لأي سبب اعتقلته الحكومة مع أربعة من أولاده هم: عفدي وفرمز وعز الدين ونايف، وحاكموهم في محكمة الاستقلال. كان مع جميل جتو قادر بيندور آغا ومائة وخمسون رجلاً، لكن جميل كان مشهوراً في كردستان الشمالية ومعروفاً ومن يلتقي بهذين الرجلين ويتعرف على منطقهما العقلي، وسيأسف لأنه يعرف أن بلاد الأكراد قد بقيت بين أنياب رجال وضعفاء وغير جديرين بالمسؤولية وماذا تكون عاقبة هذا الشعب. كان جميل يحمل طول النهار المرآة والملقط وهو ينظف وجهه من الشعر. ولم يكن له أي شيء سوى هذا العمل، وكان قادر يرتدي ثياباً مهلهلة حتى ترى المحكمة أنه فقير وبائس كي يطلق سراحه. كان هذان الرجلان الأحمقان آغا خرزان وبانجياران بعقلهما القاصر وقعا تحت أنياب محكمة الاستقلال.

وكانت المحكمة في مبنى السينما وجميع كراسيها مرقمة. فالرقم الأول أمام الخشبة العالية ويجلس عليها أعضاء المحكمة ويبدأ. عندما أُخذوا إلى المحكمة، جلس جميل جتو على الكرسي رقم /1/ وقادر بندور على الكرسي رقم /2/ والباقون توزعوا على الكراسي وجميعهم يجهلون التركية لذلك كانوا بحاجة إلى مترجم يعني كان السؤال والجواب يتكرر مرتين مرة بالتركية وأخرى بالكرمانجية. وعلماً أن محاكمتهما استمرت

بجلستين ولم تدم كل جلسة أكثر من خمس ساعات .
كما هو عادة غالبية المحاكم هناك يلقي القاضي بعض الأسئلة التقليدية مثل:
-ما اسمك؟
ما اسم والدك ؟
-من أي منطقة وكم هو عمرك؟
-هل أنت متزوج؟ هل لديك أولاد؟
ماذا تعمل؟
-ما رأيك بهذه التهمة ؟إن كانت غير صحيحة فما هي إثباتاتك؟
هذه الأسئلة الست يسألها رئيس المحكمة لكل من يقف أمام محكمة الاستقلال ويعرف القارئ الكريم أن هذه الأسئلة تتكرر باللغتين مع الإجابة أكثر من /150 / مرة. لا تكفي جلسة واحدة لهذه الأسئلة فقط والجلسة الثانية لا تكفي أيضاً لأسئلة الرئيس وإجابة المتهم. أين هي مرافقة النائب العام؟ ومحامي الدفاع؟ كم من الوقت يتطلب كل هذا ؟
انتهت كل هذه الأسئلة والأجوبة والمرافعات واقوال محامي الدفاع في جلستين فقط. عندما قرأ رئيس المحكمة الحكم حسب الكراسي المرقمة وبعد حيثيات الحكم قال رئيس المحكمة:
((...الرقم واحد والرقم الثاني إعدام وحتى الرقم /90/ خمسة عشر عاماً. والآخرون لا يتحملون المسؤولية ...))
هذا هو الحكم الذي حكموا به. أعتقد أن المحاكم الأكثر ظلماً لا تعطي الأحكام حسب أرقام الكراسي، وفي اليوم التالي من محاكمة جميل أخذونا إلى المحكمة. ومازالت جثة جميل و قادر معلقتين على المشنقة ، مررنا أمام خشبة الإعدام. والغريب أننا لم نتألم لهما،لم ينظر أحد من السجناء إليهما نظرة إشفاق. وأذكر أن عمر تمو أعدم بعد محاكمة جميل بعدة أيام، عندما عاد من المحكمة ارتمى جميل جتو في حضنه باكياً أي (في حضن عمر) دفع عمر جميل جتو بغضب من حضنه وتحدث معه بلهجة قاسية: لست من الذين يبكون يا جميل كي تبكي علي. أخذت ثأري من الأتراك وما كنت أستطيع فعله لم أتراجع عنه وفعلته لكن أيها البائس أنت الذي كنت حليفاً للأعداء واليوم يريدون أن يعدموك. دع بكاءك، يليق بك البكاء لكن على نفسك))
نهض جميل لم يعد يعرف ماذا يفعل رأيته في ذلك اليوم، فالذي يصبح صديق العدو ويكون مكسور الخاطر ذليلاً عدا ذلك لقد اعتقل مع الرجال الوطنيين فقط، اعتقل جميل جتو مع أولاده وزوجته، بدا أن يداً غريبة لطمت وجه جميل جتو تلك اليد الأجنبية.

محاكمتنا

أخذونا نحن الـ/ 16 / رجلاً في اليوم / 15 / حزيران إلى المحكمة، تلك المحكمة التي كان يريد مصطفى كمال أن يرعب بها الشعب الكردي.

عندما أخرجونا من بوابة السجن الكبير كان / 40- 50 /عسكرياً مسلحاً ينتظرنا أمام الباب اقتادونا إلى المحكمة مقيدين ومازالت جثة جميل جتو وجثة قادر بندور تتأرجحان على خشبة الإعدام، في طريقنا بالقرب من بوابة المحكمة كان الاثنان حليفين للأتراك، رغم ذلك لم يكونا محط الشماتة لا أستطيع أن أنظر إليهما. إعدام الأكراد في بلادهم من قبل الأعداء كانت عملية صعبة بالنسبة ليّ.لذلك عندما قال الأصدقاء: ((ها هي جثة الآغوات الأعداء)) التفت إلى الجهة الأخرى.

وصلنا إلى مبنى المحكمة في الساعة الثامنة والنصف، ستأتي جماعة المحكمة في الساعة العاشرة والضابط الذي رافقنا إلى المحكمة كان يوز باشياً ماردينياً .أرسلناه إلى السوق فجلب لنا الفطور المؤلف من الخبز والجبن والبطيخ الأحمر. لعب الشباب فترة بقشور البطيخ كانوا يكابرون ويتظاهرون أنهم لا يخافون من المحكمة. انتبه إليّ أوسمان بك كان واسع الصدر. يعرف أنه لن يخرج من المحكمة دون أحكام، لذلك لم يمنعنا من اللعب والفرح. كنا نعرف عقوبتنا لكننا نريد أن نذهب إلى المحكمة بالضحك والنكات.

قبل قدوم جماعة المحكمة، نظفنا الصالة من قشور البطيخ، جاءت المجموعة في الساعة التاسعة والنصف كان رئيس المحكمة هاشم محي الدين برأسه الكبير وسحنته الشابة العجيبة. والعضو علي صايب يشبه من زنى بوالدته يلتفت حوله بلا حياء ولا اذكر أسم العضو الآخر، ربما كان عوني، ينظر أمامه كطفل خجول. أما النائب العام ثريا بوجهه الشاحب وسحنته الغاضبة يظهر عليه شكل الجلاد. جلس أعضاء المحكمة، وأجلسونا على صفين أمامهم. وكان حارسان أمام باب المحكمة يمنعان دخول الناس إليها، لم يمض قت طويل حتى امتلأت صالة الحضور بالرجال والنساء وكان بينهم منتظرون . يتفوه الشباب بكلمة جميلة تبتسم الوجوه بدأت المحكمة بالأسئلة التقليدية. بعد أن تحدث الرئيس عن هروب عمي وجماعته بعدة كلمات فتح ملفاتنا وأعطى التقرير للكاتب ثم قرأ.

كان التقرير قرابة / 30 / صفحة يتحدث عن فكرة هروب عمي من سجن (خاربيت) وكيف هرب عن طريقي وكيف خدعه أصدقاؤه الآغوات ومنعوه من القيام بالثورة وخاصة دور ابن أوسمان باشا بدر وكيف أخبر بكل شيء للحاكم. ثم تحدث التقرير عن قوة ونفوذ عمي بين

العشيرة قال: ((لا يوجد شخص يؤسس دولة ضمن دولة رغم وجود هؤلاء الأنواع من الرجال لا يمكننا أن نقول إنه يوجد في البلاد دولة)) ثم ألتفت إلى عمي وقال:

هل ترى يا شكري آغا، لقد حوكمت في (خاربيت) وكل ما فعلته حتى الآن مدون في هذا التقرير.

هل تستطيع أن تنكر كلمة من هذه الأقوال؟

كل ما ورد في التقرير كان صحيحاً لقد دون بدر باشا كل شيء عن عمي ونقله بدوره إلى الحاكم دون نقص. لكن نسي بعض الأسماء كحسن خيري .رغم ذلك لم يتراجع عمي عن أجابته حيث قال:

أرى أن الحاكم قد كتب تقريره هذا وكأنه كاتب قصة ألم يجد جماعة المحكمة قصة كي يروي ما يدور في خياله الواسع؟ يجب أن يكتب لجماعة المحكمة الموقرة مثل هذه الحقائق فقط .قلت للحاكم أن بيني وبين ابن أوسمان باشا عداوة قديمة وقد تحدث هو نفسه عن هذه العداوة للحاكم. هل يجوز أن يستند في حكمه على كلمات التقرير ؟ألم تجد أنت في عمله هذا تصرف خاطئاً ؟

رد الرئيس ثم التفت اليّ وسأل:

قال عملك في إفادته: لم أكن أحب الهرب. جاء أوسمان بدون علمي وهربني بالقوة، أليس هذا صحيحاً؟

نعم هذا صحيح، قمت بهذا العمل دون علمه.

كان هدفي من هذا أن أبعد عن عمي تهمة القيام بالثورة، لكن لم نعرف كيف نفعل، كان حديثي بعيداً عن المنطق. لذلك قال الرئيس:

((لو أخذته بالقوة من أيدي الجنود تستطيع أن تقول فعلت هذا دون علمه ولكن عندما خرج من الفندق ووصل إليك حاجي بدر، هل حركت أقدامه بالقوة أيضاً ؟))

خطفته دون موافقته

جميل: كانت فكرة الثورة مع حسن خيري في سجن خاربيت وفي ملاطية مع رؤساء العشائر أيضاً؟

لم أعرف ماذا أقول، أراد عمي أن يرد عليه لكن الرئيس منعه، وقرأ مجموعة من التقارير التي كتبها موظفو المنطقة وكانت تلك التقارير مثل تقرير الحاكم يتهم عمي بالقيام بالثورة.

بعد الانتهاء من قراءة التقارير التفت إليّ ثانية وسأل:

تقول إنك فعلت كل شيء، عندما قمت بهذه الأعمال ألم تعرف أنه توجد في البلاد دولة ولديها أنظمة وقوانين؟

نعم كنت أعرف أن القانون لصالح عمي ولا تحملوني المسؤولية

هل تعرف القوانين جيداً ؟

هل معرفة القانون جريمة أيضاً؟

الآن سأشرح لك القانون.

التفت إلى الأصدقاء الآخرين وسأل كل واحد سؤالين أو ثلاثة، ثم

تأجلت محكمتنا إلى اليوم التالي. في الصباح التالي أيضاً أخذونا في الساعة الثامنة والنصف إلى المحكمة وجاءت مجموعة المحكمة باكراً. قرأ النائب العام تقريراً طويلاً، رغم أنه كان مقتبساً من تقرير الحاكم، لكنه كان يهاجمنا كثيراً. عمّي شكري ونوري لكي يطبق القانون الجديد بعد /14/ يوماً بالسجن في المنفردة يقول في مقدمة القانون الجديد بلا مواربة: ستطبق هذا القانون ويأخذ العمل به في بداية شهر Gelaw.j من العام 1926، رغم ذلك ولكي تكون عقوبتنا قاسية طبق علينا القانون الجديد قبل /14/يوماً من تطبيقه. لو حاكمونا على القانون القديم لكان حكم عمي شكري ثلاث سنوات لأنه هرب من السجن وبراءة الأخرين، ولكن بوسع أحد أن يقول للمحكمة:لماذا؟))

بعد مرافعة النائب العام قال الرئيس لعمي شكري:

-" لقد سمعت مرافعة النائب العام حول التهم المنسوبة إليك، ماذا تقول؟ تنتظر المحكمة جوابك "لم أشك يوماً بشجاعة عمي لكن الذي رأيته في ذلك اليوم كان أكثر شجاعةً وقوةً وما زال الفرح على وجهه. ابتسم ثم رفع رأسه عالياً وقال بصوت عال وقوي:

-ما قاله النائب العام (ثريا) كذب وتلفيق، يبعد عن روح القانون والمنطق. أراه عدواً لي، يملك قلباً أسود عدا ممثل القانون رغم أنني لم أقرأ القانون، لكن أنا متأكد أن ثريا بك ابتعد عن القانون كثيراً في مرافعته، ثم أن القانون الجديد لم يُطبق بعد وبقي له /14/ يوماً، ويريد أن يحاكمنا على القانون الجديد، يعاديني ثريا بك وهو أكثر من عدو والكلام عاجز عن وصف حالته العدائية. غضب الرئيس كثيراً وصرخ بصوت عال ثم قال:

أنت لست على جبال مرديسي يا شكري آغا. أنت في محكمة الاستقلال افتح عينيك وانظر جيداً.

- عينيّ مفتوحتان لكن يدي مقيدتين، لا يهم ماذا يجب أن يفعل.

خرجت الجملة الأخيرة بشكل عجائبي، ثم جلس فوراً دون أن ينتظر أمراً من رئيس المحكمة. وكأنه يريد أن يقول تركت المقاومة. هل تريدون شيئاً آخر؟

نظر النائب كذئب ينتظر فريسته إلى عمي ثم التفت إلينا جميعاً ودخل غرفة المذاكرة خلف أعضاء المحكمة

بعد نصف ساعة عندما عادوا وقرا الرئيس قرار الحكم، كانت عقوبتنا كالتالي:

أعمامي الاثنين إعدام وكل واحد منا ست سنوات سجن.

في تلك الأثناء تحلق حول عمي شكري خمسة جنود وكذلك عمي نوري، وقيدوا أيديهما خلف ظهريهما واتجهنا إلى السجن.

كنت أحب عمي كثيراً ولم يحب ابن أخ مثلي عمه، عندما رأيت أنني لا أستطيع أن أقدم له شيئاً تملكني بكاء قوي وصامت وانهمرت الدموع من عيني وكنت أمشي وراء أعمامي الاثنين المقيدين. عندما وصلنا إلى

السجن أدخل أعمامي إلى النظارة انتظارا للإعدام.
قال اوسمان بك مدير السجن للشرطي حارس النظارة " دعوا هؤلاء الأربعة يدخلون إلى أعمامهم، اسمحوا لهم بالدخول " ثم امسك يدي وأدخلني إليهما .
الإنسان عجيب وخليط من العواطف، كنت انظر إلى اوسمان بك قبل ساعة بعين حاقدة وأجد فيه جلاد الشعب الكردي، عندما قدم لي خدمة صغيرة لم انتبه إلى أخطائه الكثيرة أو كنت أريد أن أجد فيه ميزة جميلة.

الوصية

بعد أن سمح لي اوسمان بك أن أبقى مع عمي من الساعة الثانية وحتى التاسعة ليلاً، لم يمض وقت طويل حتى جاء ابن عمي قادر ابن شكري إلى السجن .كان في ديار بكر منذ ثلاثة أيا م، ماذا يستطيع أن يفعل لوالده ؟. كان قادر يصغرني بثلاث سنوات وعشنا مع بعض في بيت واحد.
كان قادر يأتي إلى المحكمة ويجلس مع الحضور كل يوم، وفي اليوم الأخير عندما أطلق حكم الإعدام على والده جاء إلى السجن كي يرى والده للمرة الأخيرة ويعرف وصيته، عندما جاء قادر إلى النظارة، كان عمي يكتب وصيته، لم تسمح المحكمة للأخوين ثلاثة أيام (حق الحياة) لذلك كان سيعدم في تلك الليلة، أرتمي قادر في حضن والده. ضم شكري رأسه إلى صدره وعصر دموعه بصمت. لم أتمالك نفسي، فبكيت من قلبي. عندما رأى عمي هذا المشهد دفع ابنه بسرعة والتفت إليّ، ثم صرخ بصوت قاس: " ماذا حدث يا أوسمان؟ هل تريد أن تنوح هنا ... أعلق عليك آمالاً كبيرة وأنت تبكي كالنساء. ستعمل أشياء عظيمة يا ولدي، دع البكاء للنساء، " عندها خجلت من فعلتي وتمالكت أعصابي ألا اضعف أبداً بعد أن انتهى الكاتب من كتابة الوصية سلم عمي الورقة لابنه وقال:
هذه وصيتي للبيت واخوتك. لكن من أجل الثأر (التفت إليّ) هذا ابني، وسندي، ثم سألني بقلب مليء بالحب، أليس كذلك؟
قلت: له نعم كذلك.
قال ثانية بفرح: لم أعلق أملي بك لمجرد أنك ابن أخ، بل أنا متأكد مع

أنك رجل العائلة في الأيام الصعبة لم أجد رجلاً، صادقاً، وأميناً مثلك كل مرة، ليكن الله معك ثم أخذ نفساً وقال: توجد أمامك مهمة عظيمة، أولاً الأخذ بثأري، والثاني ستسير على الطريق الذي أردت أن أسير عليه رغم أنني لم أنجح فيه لكن يجب ألا تتأخر عنه. بدأ في اليوم الأول أنك واحد من مريدي هذا الطريق، لم أكن أعرفك جيداً من قبل .لكن لاحظت فيما بعد أن الله قد أشعل نور العائلة عليك. إن لم تهمل طريق الرجولة، ربما تكون أمل العائلة أيضاً)).

قطع كلامه. ونظر نظرة عميقة إلىّ ليرى كم تأثرت بكلامه، وجدت في عينيه أنه يطلب مني كلمة.

سأثار لك، وقد أحببت الطريق ولن أتخلى عنه. لكن لا أعرف إن كنت أستطيع أن أقوم بعمل بطولي أم لا ؟

((لا يا أبني، لا تخف .. الدنيا مليئة بالرجال والرجال يتغلبون على الأعداء. كن رجلاً صادقاً وأميناً وستفتح جميع الأبواب أمامك، إن لم يفتح بسهولة فليكن بصعوبة، لقد وهبك الله عقلاً وفكراً ."

إن أردت منذ الآن تستطيع أن تزرع فيه أشياء كثيرة، امضِ في طريقك بلا وجل وستجد دائماً أن الله يساعدك))

مِن مَنْ سآخذ ثأرك؟ .

قبل أن يجيب عن سؤالي، فكر قليلاً. بعد أن ذكر لي عدة أسماء ثم تراجع عن كلامه وقال:

لا. دعك من الاثنين بدر اوسمان باشا، يجب أن يقتل، حتى يعرف الناس أن عائلة حيدر آغا لن تترك دماءها تذهب هدراً، يجب أن تعرف جيداً إن قتلته بيد الناس، ستقتل أنت أيضاً بيد الغرباء، وإن قتلته غدرا فستقتل أنت غدراً أيضاً، أخبره كالرجال إنك ستقتله، وكيف تريد أن يُقتل نفذ ما تريده.

((لن أرتاح في القبر، سأنتظر أعمالك وصوتك، عندما تقتل بدري باشا اصعد إلى تلة عالية واتجه إلى ديار بكر واصرخ بصوت عال إليّ قل (لقد ثأرت لك يا عمي) عندها سأرتاح في قبري))

عندما توصل عمي إلى هنا توقف قليلاً وبدا على وجهه علائم التعب. واتخذت الطريق كما طلب مني وحمّلني حملاً ثقيلاً، بت بيديه على ظهري ثم تنهد متحسراً وقال:

أعرف أنني لم أترك لشبابك شيئاً، وحملتك أعباء كثيرة، أليس كذلك؟

لا. تستطيع أن تقول المزيد، أستطيع التحمل أكثر، يجب أن يكون حملي ثقيلاً.

نعم يا ابني أعرف قوتك والأشياء التي لا أعرفها قد وجدتها الآن فيك، أنا اليوم محظوظ باكتشاف هذه الميزة فيك .

أيقظني صوت الجندرمة من التفكير، كانت الساعة التاسعة، قبّلتُ بسرعة يدي عمي كي أخرج من باب النظارة التفت ثانية إلى الخلف، سمعت صوت عمي. كن رجلاً صادقاً وأميناً امضِ في طريقك إلى

النهاية.
خرجت من النظارة، واتجهت إلى فراشي، كان حملي كبيراً جداً استولت الحكومة التركية على أموالنا وممتلكاتنا والآن يُعدم عماى الاثنان واظل كبير العائلة أتحمل المسؤولية تاركين وراءهما / 86 / ولداً يحتاجون إليّ كأخ لهم عندما توفي والدي قبل ذلك بعشر سنوات، لم يدع عمي أن أشعر أنني يتيم. هل أستطيع أن أقدم هذا الشعور لأولاد أعمامي؟ نمت وهذه الأفكار تراودني .
أشرقت الشمس في الصباح، عندما استيقظت من النوم، لم يبق أي أثر من آثار الليلة الماضية، إذا كنت أريد أو أن عمي يريد أن استعد لأعمال كبيرة ألم يقل لي كن رجلاً صادقاً وأميناً يجب أن أكون كما يريدني ؟
بعد أن غسلت وجهي أرسلت إلى الحلاق، جاء الحلاق وحلق ذقني، ومازال الحلاق يحلق ذقني، جاء نجم الدين. عندما رآني أحلق ذقني، جلس صامتاً، وعرفت أنه غاضب مني، كيف أحلق ذقني .؟ عندما ذهب الحلاق تحدث معي بغضب:
هل ستثأر هكذا لعمك ؟
-ماذا تريد؟
مازالت جثته معلقة على خشبة الإعدام، كيف تحلق ذقنك؟
هل سآخذ ثأره بذقني أم بقلبي؟
هل تعرف ماذا يقول الناس عنك؟
من قال لك اسمع للناس؟
اندهش نجم الدين من حديثي، وحتى ذلك الوقت كنت اسمع نصائحه، ماذا جرى كي أتحدث معه اليوم بقسوة، لم يعرف ماذا يقول قال:
هل أنت جننت !
ممكن....
هكذا لم أسمع نصيحته غضب مني ولم يأت إليّ مدة يومين، عندما شعر أنني انفذ ما في رأسي تخلى عن غضبه وجاء إليّ من جديد .

في طريق المنفى

بعد أن تركت نجم الدين بساعتين جاء قادر إلى السجن وقد دُفنت الجثتان وأراد أن يسرع إلى البيت. عندما أخذنا الحكم، كنا أربعة عشر رجلاً، أخذوا كل واحد منا إلى مدينة من مدن الأناضول. سيرسلونني إلى

سجن دنزلي ونجم الدين إلى سجن إنطاكية لم نكن نعرف متى سيرسلوننا، ذهب قادر ليرتب أمورنا، وأرسل إلينا النقود وبعد خمسة أيام كنا مستعدين للرحيل.

كثيرون كانوا على طريق النفي، لكن لم يعد أحد منه. كانوا يتحدثون عن الذين كانوا هناك وخاصة المعتقلين .. "مثلاً أخذوا منهم كل نقودهم في أضنة ". وكان هذا صعباً علينا بعد أن استولوا على أموالنا لا نريد أن نبقى جائعين .اتفقت مع ابن عمي، كي يعرف ان كانت هذه الإشاعة صحيحة أم كاذبة وقلت له: إن أخذوا نقودنا كما يقولون، فسأدون اسمي في الرسالة كما هو في الهوية (أوسمان نوري). إن كانت كذبة فسأكتب كما يسمونني (اوسمان صبري). عندما وصلنا إلى أضنه، لم يأخذ أحد نقودنا كتبت اسمي اوسمان صبري ومنذ ذلك اليوم اصبح اسمي اوسمان صبري .

في يوم 24 حزيران وبعد محاكمتنا استعدت مجموعة منا / 48/ سجيناً سيأخذوننا بالسيارات كل أربعة مع شرطي في سيارة واحدة، دفعنا أجرة الطريق، وستأخذنا السيارة من آمد حتى عينتاب سنقطع المدن التالية دياربكر، سيورك رها بيرجك وعينتاب.

كان أمام بوابة السجن اثنا عشر شرطياً وضابط واحد. ركب أربعة رجال وشرطي واحد في كل سيارة، قيدوا أيدينا وأخرجونا. خرجت أولاً وجاء ثلاثة أصدقاء معي، فرحنا بركوب السيارة، ثم جاء ضابط الشرطة وركب معنا في السيارة. وانذاك ندمت لأنني وقفت أمام السيارة الجديدة كان الضابط قاسي الوجه، يتقطر وجهه سماً، لو كان معنا شرطي واحد لكان أقل قسوة، لكن الضابط وخاصة هذا القاسي فهذا أمر لا يُحتمل .

كانت سيارتنا في المقدمة خرجنا من المدينة، لم نكن نريد أن نرى وجه الضابط الغاضب، التفت إلى الخلف وسألنا:

- من أي ولاية أنت؟

_نحن من ولاية ملاطية .

-من أي منطقة؟

- من منطقة كختة .

-هل يعرف أحد منكم حاجي بدر بك ؟

- نعم هو خال والدتي.

-خال والدتك ؟

التفت إلى الوراء تماماً وقال:

- هل تعرفون أن حاجي بدر ولي نعمتي؟ إن كنت محترماً في ولايتي فيعود الفضل إلى حاجي بدر بك. منذ سنين أريد أن أرى أحد أقربائه، كي أقدم له خدمة. شكراً لله أنني التقيت اليوم بأولاد أخته.

كان حاجي بدر من الرجال الأكارم لم يكن له مثيل بين الآغوات كانت أفضاله على جميع الناس، تولد شعور حب متبادل بينه وبين والدي، وعندما توفي والدي توجهت بهذه العاطفة إليّ، كانت السيارات التي

ترافقنا قديمة جداً .توقف كل عشر كيلو مترات. تتوقف جميع السيارات عندما تقف واحدة. وصلنا قبل الظهر إلى مكان جميل فيه ماء وخضره بين دياربكر وسيوراك. توقف الضابط هناك وفك القيود من أيدينا وقال:

- " لن أقيدكم ثانية " وقد فك قيود الآخرين بفضلنا نحن وقال لهم:

-أيها السجناء أعرف خال هذا الشاب إن أفضاله كثيرة عليّ، من أجله سأفك أيديكم جميعاً ولن أقيدها، هذا يعني أنني لن أقيدكم في الطريق علماً أنني أعرف أن غالبية الذين حكموا ب/15/ سنة، لكن أرجو ألا تحاولوا الهرب))

ثم أمر الجندرمة كي يفتح قيود الجميع، توزع السجناء على المرج كي يصلّوا أو يتوضؤا وجلس الضابط معي على المرج ليروي لي قصته مع حاجي بدر بك .

قبل أن أروي قصة الضابط يجب أن يتعرف القارئ الكريم على حاجي بدر بك.

كان حاجي بدر بك زعيم عشيرة راشيان ومبعوث منطقة كخته، حارب في معركة ضد الفرنسيين في عينتاب، كان محترماً جداً لدى حكومة أنقرة وخاصة عند كمال مصطفى وعصمت، وعلاوة على ذلك قلما نجد رجلاً مثله في البلاد من ناحية الكرم والشجاعة، ومساعدة الضعيف .

لم يكن يميز بين الصديق والعدو في طلب المساعدة وكأنه لا يوجد في قلبه غضب أو حقد. بل إنه طيب القلب، رشيق الجسم، لديه أفكاراً منطقية، هذا عن حاجي بدر بك باختصار، لا أتذكر اسم الضابط التركي وبدأ بقصته هكذا قال:

قبل خمس سنوات كنت مثل أي ضابط تركي، شاب متحمساً ومؤمناً مازال المستقبل أمامي أخطو باتجاه المستقبل، لا توجد أيام جميلة إلا بعد الأمطار وأنا أيضاً مرت عليّ غيوم سوداء ثم أمطار كثيرة في سماء حياتي. كان بيني وبين البنباشي غضب لدرجة أنني قتلته ودخلت السجن. ساعدوني جميع الضباط وزملائي، وبعد المحاكمة بسنة أطلقوا سراحي من الجيش لم يكن لدي مال ولا مهنة كي أتعيش منها، وقد ساعدوني زملائي الضابط لفترة، لكن لم تدم هذه المساعدة طويلاً كنت متشائماً،أينما اتجهت تغلق الأبواب في وجهي. لا أجد شيئاً سوى الانتحار جلست ذات يومفي مقهى أفكر في الانتحار، فجأة جاء رجل أعرفه منذ القديم وجلس بجانبي، بعد أن أطلع على وضعي قال لي:

-يوجد في أنقرة مبعوث يدعى حاجي بدر بك لا أحد يستطيع أن يداوي جرحك غيره.

لم أكن اسمع بهذا الاسم من قبل، ماذا يستطيع أن يفعل لي؟ وكرجل بائس قلت له:

-من هو حاجي بدر وماذا يستطيع أن يفعل؟ أنت تعرف تماماً أنني طردت من الجيش .

-أنت لا تعرف من هو حاجي بدر لذلك تقول هذا، لكن يستطيع أن يعيدك إلى الجيش فقط
-وكيف يستطع؟
-يحترمه غازي باشا وعصمت فوزي كثيراً .
-اعتقدت أنه الوالي فأنا لا أعرفه .
-لست بحاجة إلى أن يعرفك. من يذهب إليه يساعده مهما كانت هويته.
يكفي هذا، تتكلم بشكل عشوائي لقد أخبروك عنه أنه معجزة وأنت صدقتهم، يجب أن تعرف أننا لسنا في عصر المعجزات .
هذا رأيك، لا أحد غيره يستطيع أن يداوي جراحك، لسوء حظك لم تسمع نصيحتي.
أنهى صديقي كلامه وبعد فترة خرج من المقهى نسيت حاجي بدر بك ومكانته لدى الحكومة ثم عدت إلى أفكاري السوداء
كنت ابن رجل فقير دفعني والدي إلى المدرسة تحت ضغط العوز والحاجة وأصبحت يوزباشياً ثم قتلت ضابطاً أكبر مني وطردت من الخدمة، ليس لدي أموال وأبواب الحكومة مغلقة أمامي ولا أعرف أن أمارس مهنة أخرى. ماذا يوجد أمامي غير الانتحار ؟
جلست في نفس المقهى ونفس الزاوية بعد عدة أيام، جاء صديقي أيضاً رد السلام ثم جلس معي وسألني عن وضعي: كيف حالك :؟ ألم تجد عملاً بعد؟ \أعتقد أنه لا يوجد أحداً سوى حاجي بدر بك يداوي جرحك، حاول مرة. فلن تخسر شيئاً.
- لن أخسر، لكن لا أعرفه ولا أعرف بيته.
أنا أيضاً لا أعرفه. لكن عندما تريد أن تذهب أستطيع أن أدلك إلى بيته
كنت أقضي أيامي في المقهى والتجوال في المدينة. ماذا يجري إن ذهبت إلى ذلك الرجل، أليس باباً أيضاً ويجب أن لا أتراجع. طرقت الباب فتح شاب كردي الباب وأدخلني إلى المنزل، لم يمض وقت طويل حتى جاء رجل ضخم، صافحني وقال:
من أنت؟ ماذا أستطيع أن أقدم لك؟
أخبرته قصتي من البداية لم أكن أعتقد أن رجلاً يستطيع أن يقتنع من رجل غريب هكذا. قال بوجه بشوش يجب آلا يبقى ضابط مثلك جائعاً، أو يجب أن يقدموا لك باب الرزق لأجل لقمة العيش أو أن يقتلوك، سأذهب معك الآن إلى فوزي باشا يجب أن يعيدك إلى الجيش.
بعد أن شربنا القهوة، أخذني معه إلى دائرة الأركان.
يبدوا أنه محترم جداً عندما وجده خادم فوزي أسرع لمقابلته وسأله إن كان يريد أن يرى الباشا. عندما قال نعم، ذهب فأخبر فوزي باشا ثم، عاد وقال:
-ينتظرك فوزي باشا في الداخل .

دون أن يسمح لي بالكلام – أمسك بيدي وجرني وراءه. قلت له:
-لا يستطيع ضابط صغير مثلي أن يدخل إلى الباشا.
قال لي بقلب كبير: إن الباشا مثلي ومثل جميع الناس. لا تنسَ أنه كان ضابطاً صغيراً قبل عدة سنوات، تعال ستجده رجلاً رائعاً.
أخذني معه مجبراً إلى الداخل نهض الباشا وأحترمه كثيراً ثم قال:
-لم آت لأجلس. جئت لأجل عملٍ. إن وافقت على طلبي، سأجلس، وإلا لماذا أجلس؟
تحدث عن وضعي، وقال يجب أن تعيد هذا الشاب إلى الجيش .
قال فوزي باشا: الضابط الذي يطرد من الجيش لن يعود إليه ثانية .
غضب حاجي بك وقال طالما لن يعود، إذاً اقتله. يكون لصالح الدولة ولصالحه هو ماذا يستطيع أن يفعل بعد هذا؟
لا يسمح القانون أن أعيد ضابطاً مطروداً إلى الجيش
لا تنس أننا حافظنا على البلاد بفضل هؤلاء الأسود وتغلبنا على العدو بزنودهم. هل تستطيع أن تنسى هذه الحقيقة اليوم إن لم توافق على التماسي سأذهب إلى غازي باشا، ربما لم ينس بعد أهمية الضابط.
خجل فوزي باشا من هذا الكلام وقال بهدوء:
-معك حق. يجب ألا تنسى بطولة ضباطنا. تفضل اجلس: سأرى ماذا أستطيع أن أقدم له.
عندئذ تحدث فوزي باشا عن مساعدته وتحدث مع حاجي بدر فترة وهو مايزال واقفاً، ثم ألتفت إلى حاجي بدر بك وقال :
-لا أستطيع أن أعيده إلى الجيش، لكن من أجلك سأجعله ضابط شرطة، قائد الجندرمة هيا صديقك ها اكتب له أن نعينه هناك .
التفت حاجي بدر بك إليّ وقال:
-هل تريد أن تكون ضابط الشرطة؟
-نعم، لا يهم.
ثم نهض وذهب معي إلى قائد الشرطة وأصبحت بعد ساعتين بوزباشي الشرطة ، كل هذا كان بفضل حاجي بدر بك. كنت أتمنى من الله أن أرى أحداً من أقربائه وأخدمه. وقد وجدتكم اليوم ". بعد أن سمعت قصة الضابط فرحت كثيراً بتصرفات حاجي بدر بك. كانت أعماله كثيرة، وأينما توجهنا وجدنا أفعاله وتصرفاته الحسنة يرحمه الله.
اجتمع السجناء حول الماء جماعات .تركتُ الضابط وذهبت إليهم ورجوت السجناء، ألا يخجلوني معه، إن هرب واحد منكم فسيتحمل الضابط المسؤولية.عرفت في تلك الفترة طرق المساعدة وكنت أرى في عيون جميع الأصدقاء.
وصلنا في ذلك اليوم إلى سيورك وبقينا تلك الليلة في سجن المدينة، أخذونا في الصباح إلى رها رجع الضابط الذي كان يرافقنا من رها إلى ديار بكر ودعنا قبل أن يدخلنا السجن سلمنا إلى شرطة رها دون قيود ولم يجد شيئاً فينا. وقد ساعدنا كثيراً وحتى الآن مازلت أذكره.

وأخذونا إلى (بيرجه) وانتهت رحلتنا الأولى هناك. كان يجب علينا أن نستأجر سيارات من هناك لنصل إلى كلر ونلتقي بالقطار، بعد أن بقينا / 15/ يوماً في سجن عينتاب أخذونا إلى سجن أضنه قبل أن نصل إلى كلر اقتربنا من حدود سوريا. وابتعدت السيارات عن بعضها في عتمة الليل ومن كان يريد أن يهرب منا يستطيع أن يهرب ويتجه إلى سوريا، كان معي ثلاثة من أولاد جميل جتو من أضنه إلى كلر. وعندما اقتربنا من الجبال قالوا لي إن وافقتنا فسنهرب. كان الهرب سهلاً جداً في تلك الليلة، لكن لم اقتنع بهم ولم أوافق على الهرب وكنا نحن الطرفين جهلة، كان يلزمنا تجارب كثيرة كي نقف على أقدامنا.

لذلك لم أوافق على هذا التصرف، ولا موني كثيراً فيما بعد.

وصلنا إلى كلر قبل منتصف الليل، كنا / 48/ سجيناً مع اثنتي عشر من الشرطة يعني / 60 / رجلاً أدخلونا إلى عربة الأمتعة. ثم جاء القطار في ظهيرة اليوم الثاني ووصلنا إلى أضنة، وبقينا في القطار مثل السردين أو البرق في الطناجر. وما رأيناه من الضيق لا يمكن أن يوصف إلى أن وصلنا إلى أضنه لم يسقونا الماء ولم يدعوا أحداً بخرج ليتنفس،أو قضاء الحاجة، يتساقط العرق من سطح عربة القطار ومن شدة الحرارة ونَفَس الرجال , هكذا وصلنا إلى أضنة قبل المساء ثم توجهنا إلى السجن .

37 يوماً في سجن أضنه

دخلت باحة السجن قبل زملائي. تحلق السجناء في الباحة حولي يريدون أن يتعرفوا على السجناء الجدد سلمت عليهم بصوت عال. ردوا

سلامي. خرج عجوز من بينهم وسألني:
كم سنة حكمت عليك المحكمة ؟
-ست سنوات.
تراجع العجوز ست خطوات إلى الوراء، لم أرتح لحركته لأنه خاف كثيراً. قلت له مبتسماً:
أنا الذي أخذت الحكم، لماذا تخاف أنت؟
خرج فوراً رجل طويل أبيض من الحلقة التي صنع السجناء لأنفسهم وتقدم إليّ ثم حضنني وقبلني. قال بلهجة أهل سرهد: أنت ضيفي يجب أن تقبل دعوتي.
دون أن يفتح لي مجالاً الكلام، أخذني الى حضنه كطفل ولم يتركني، تخلصت منه بألف رجاء والتماس ، وذهبت معه إلى غرفته في الطابق الثاني، كان هذا الرجل يدعى حسين حلمي اتيك قائمقام منطقة جباخ جور ومن أصدقاء الشيخ سعيد الذي حكم عليه بالإعدام .وقد حارب ضد الفرنسيين ببسالة لذلك خففت عنه المحكمة الحكم إلى / 15/ سنة كان من شراكس كردستان، لكنه متمسك بالكردية أكثر من الأكراد، أستطيع أن أقول إن هذا الرجل هو الذي علمني حب الوطن في المراحل الأولى من عمري.
بقيت شهرين وثلاثة عشر يوماً في سجن أضنه مع حسين حلمي اتيك، وكان معه في الفرقة حسن بك بن صالح بك قضينا معاً أياماً حلوة، وقد كان ابن حسن بك هو بحري أيضاً في سجن اضنة أخذوه إلى المستشفى لأنه كان مريضاً لذلك لم أره.
رأيت في سجن أضنة حاجي بدر بك مع خمسة أو ستة من آغاوات البلاد، وقد كان معه أيضاً بدر ابن اوسمان باشا. وهذا ما أغضبني كثيراً وقد لاحظ المرحوم بدر بك غضبي، وقال لهم بسرعة: هيا إلى المضافة أيها الآغوات سأبقى عند ابن أختي قليلاً، عندما بقيت أنا وهو وحدنا قلت له لائماً: كيف أحضرت بدر باشا معك يا خالي؟ ألا تعرف أنه خائن؟
نعم أعرف، لكن لم يفعل شيئاً بكم إنه فعل بنفسه. يجب أن تفكر هكذا علماً أنني أعرف أنه لا يدرك شيئاً من اعمال والتصرفات الحسنة، أريد أن اقتنع عندما يريد أحد أن يكون جيداً فالطريق مفتوح أمامه. انتم وعائلة حيدر عنيدون في غضبكم، زينل (حوكم اخوه معنا) اخبرني وصية عمك ...يا ليته لم يفعل هذا وسلمه إلى سيف الله ....
ماذا يعني، إن كان يدي سيف الله
- لا لا أريد أن يكون هكذا كان يجب ألا يكتب عمك وصيته، أعرف تماماً أنه كان يحبك كثيراً، ألم يستطع أن يخفف عنك حملك قليلاً؟
لأنه كان يحبني لذا سلمني هذه المهمة، هل يوجد أحد أقرب مني كي يدافع عنه؟
كان يجب أن يتركك لتوعية الشعب والعشيرة .
هذه الطريقة أفضل من توعية العشيرة والعائلة ومنذ الآن ستكون هذه

طريقتنا
عندما لاحظ أنني لن أتراجع عن أرائي وأفكاري لم يعد يذكر وصية عمي بعدها وتحدثنا عن أشياء أخرى وودعني ثم خرج، وقبل أن يذهب طلب مني أن أكتب إليه عن وضعي دائماً.
قضيت شهرين وثلاثة عشر يوماً عند حسين حلمي اتيك، وعلمني أشياء كثيرة، عندما انتقلت من سجن أضنة لم أكن ذلك الشاب الذي لم إلى سجن أضنة بل كنت رجلاً لي آراء وأفكار خاصة بي، انتقلت من سجن أضنة إلى سجن قونية وبقينا عشرة رجال من / 48/ رجلاً كنا أربعة من مرديسي وأربعة من أولاد جميل جتو ورجلين من سليفي، افترقنا من زملائنا الآخرين في أضنة وكل مجموعة اتجهت إلى مكانها.
ذهبت من سجن أضنة لكن قلبي كان معلقاً بحسين حلمي اتيك ارتبطت به ارتباطاً عميقاً لم يستطع البعد أن يفقدني حبه لأنني وجدت للمرة الأولى كردستانياً ليس كردياً يحب الأكراد بصدق وفي تلك الفترة قدم روحه من أجل كردستان جاء حسين حلمي اتيك إلى سوريا بعد عشرة سنوات لكن لم أكن هناك كان الفرنسيون قد أخرجوني نفياً من البلاد وعندما عدت إلى سوريا توفي حسين حلمي اتيك دون أن أراه ثانية.

ثلاثة أشهر في سجن قونية

لحسن حظ القادم الجديد عندما يأتي إلى سجن قونية يجد السجن كبيراً والنظام فيه ليس شيئاً. فالسجن مؤلف من مبنى داخلي ومبنى خارجي .
القسم الداخلي من أقدم سجون تركيا، رغم ذلك لم يكن أفضل من السجون الأخرى، لكن القسم الخارجي كان واسعاً وجميلاً والنظام فيه تختلف عنه في بقية السجون، يعني من أفضل السجون في تركيا، يوجد في القسم الخارجي أصحاب المهن و الآغوات والأغنياء، عندما وصلنا إلى هناك، افتتحت إدارة السجن بعض الغرف الصغيرة , يسكن في كل غرفة اثنان من الآغوات من رشويان وهيمان وغرفة لآغا جان يكي وهو من أكراد هيمان أيضاً. وغرفتين لم يدخل إليهما أحد بعد. أرادوا أن يعطوني غرفة منهما، سأروي حكايتها فيما بعد. يمر نهر داخل السجن ليسقي أرضاً كبيرة مقسمة بين السجناء، يزرع كل سجين في الأرض المخصصة له خضراوات حسب إمكانيته، أما أصحاب المهن منهم، يفتحون محالاً (دكاكين) في القسم الخارجي فيعمل كل واحد بمهنته.

فالخارج جميل وواسع لا يشعر السجين فيه أنه في السجن.
أرسلت تلغرافاً إلى حاجي بدر بك بعد أن وصلنا إلى قونية ليحاول أن ينقلنا أنا وزملائي الثلاثة الذين معي إلى هناك (أنقرة) . وقد افترق أصدقاؤنا الآخرون عنا في دياربكر و أضنة، والآخرون في قونية. أردنا أن نبقى نحن الأربعة في سجن قونية، وعندما رأى مدير السجن خطي، فرح كثيراً وأرسل إليّ حتماً. ذهبت إلى المدير، احترمني كثيراً بعد أن تحدثنا وعرف أشياء كثيرة عنا قال لي:
-لاحظت علائم السرور على وجهك هنا في سجننا، ما رأيك أن تكتب لخالك حاجي بدر بك أن يتركك هنا، ولدي صلاحيات صغيرة أستطيع أن أساعدك في البقاء عندنا؟ إن كنت تريد البقاء هنا، سأعطيك غرفة صغيرة، وإن لم توافق على بقائك أستطيع ألا أرسلك فترة وستبقى هنا أيضاً، لكن سأطلب منك طلباً مقابل هذه الخدمات.
-تفضل .
-يوجد لدي سجين مغربي ولديه كتاب فيه أدعية نادرة، يجب أن تكتب لي عدداً منها .
هذا سهل جداً، أستطيع أن أدوّن لك دون مقابل.
أخبر الخادم أن يحضر لي غرفة .غضب زملائي مني فلا يريدون أن أتركهم لذلك قلت لمدير السجن: لا أريد أن أترك أصدقائي الآن .عندما يذهبون من هنا سآتي إلى الغرفة التي ستقدمها لي.
بدأت بنسخ الكتاب، انتهيت فيه خلال أسبوعين، وقدمت ذلك لمدير السجن.
كانت علاقتي بأولاد جميل جتو قليلة جداً حتى ذلك الحين، لأننا بعيدون عن بعضنا بكل الأمور.
ثم ارتبطت بهم مكرهاً لأنهم أكراد فقط وأجد نفسي مسؤولاً عنهم.
يوجد سجناء أكراد في سجن قونية منهم حيدري. يقول إنه ابن شقيق كورحسين باشا.
كان يزور أولاد جميل جتو كثيراً .قلت لفلمز جميل ذات يوم:
_أرى أن هذا الشاب يأتي إليكما كثيراً وصراحة أشم رائحة خيانة منه ويبدو من خلال عينيه، إن سمعتما نصيحتي لا تهتما به كثيراً))
غضب فلمز مني كثيراً لأن الشاب كان ابن عم زوجته، كانت ابنة كور حسين باشا هي زوجة فلمز.
لذلك قال: يأتيك يومياً عشرات من الناس ونحن لا نحسدك أبداً، عندما يأتي إلينا الشاب فلن تتحمل ذلك))
حاولت أن أشرح له لكن ازداد غضبه، تركته ولم أهتم به، لم يمض أربعة أيام حتى سرق الشاب ألفي ليرة من أولاد جميل.
جاء فلمز إليّ فوراً وطلب مساعدتي، دون أن أعاتبه، أخبرت المدير فوراً، جاءوا بالشاب وعذبوه، أخبرت آغوات هيمان من جهة أخرى وبدأوا يشنون هجوماً عليه، ثم اعترف لهما كان وقد صرف مائة ليرة

فقط. قلت: لا يهم، فليرجع الباقي إلينا ونسقط الشكوى، أخبرت مدير السجن أن يتركوه وحذرت أولاد جميل جتو ألا يتكلموا معه، لكن هجموا على الشاب - زبير – وضربوه حتى كسروا جسمه. قال زبير: ضربوني وكسروني. أهانونني لذلك لن أعيد النقود لهما. أخذنا معنا الحارس إلى أغراضه وفتشوه، وجدنا تحت لحافه / 1000/ ليرة، ولم نجد الباقي. يعرف زبير أن أولاد جميل جتو لن يتركوه في حال سبيله وربما يقتلونه لذلك أعطى /500/ ليرة لضابط الجندرمة، أخذنا الضابط أنا وأولاد جميل جتو من السجن إلى النظارة بتهمة الضرب. وبقينا أربعة أيام في النظارة، قيدونا ذات ليلة وأخذونا إلى القطار ثم توجهنا إلى مكاننا، أخبرني قره حسار أفيون من القطار وأخذني إلى النظارة. عرفت من شرطيٍ من هو قائدهم لقد كان صديق عمي. كتبت له رسالة في الصباح، فأخرجني من النظارة بسرعة إليه، أرسلني مساء مع شرطي إلى قائد شرطة دنزليه. عندما ودعته قال للشرطي الذي سيذهب معي:

"سترافقه لا لتمنعه من الهرب، بل لتخدمه، إن لم ترغب أخبرني من الآن أنك لن تذهب معه ". وصلنا إلى دنزليه بعد انقضاء أربعة أيام في نظارة قونيه وسفر يوم كامل.

سنة ونصف في سجن دَنِزْلِيَه

عندما وصلت إلى دنزليه أحضرت معي توصية خاصة أعطيتها لقائد الجندرمة. احترمني كثيراً، وأرسل معي ضابطاً إلى مدير السجن كي يعطيني مكاناً مريحاً كان مدير السجن رجلاً متفهماً ومطلعاً .كانت الغرفة رقم / 2 /أفضل الغرف، والغرفة رقم / 4/ جميعها أكراد، طلبوا مني أن أذهب إليهم لكنني لم أوافق فالخلاف الذي بينهم، لا يدع المرء يرتاح في السجن .

تعرفت على عدة أشياء خلال بضعة أيام عن السجن، تحدث في السجن سرقات، فالمرء الذي لم يجرب السجن لا يمكن أن يصدق ما أكتبه. كان بعض الموظفين في السجن يتفقون فيما بينهم على نهب المعتقلين وسرقتهم، كان يشترك مساعد النائب العام ومساعد قائد الجندرمة في الولاية ورئيس قره غال الجندرمة ومدير السجن وكان يسلم كل غرفة في السجن للص أو قاتل يوزعون السجناء الجدد على الغرف ومن يأتي حديثاً يأخذون منه ضريبة. الضريبة تتناسب حسب وضع السجين تتراوح بين 10 –100 ليرة تركية، فالسجناء الذين لم يدفعوا الضريبة كانوا يضربونهم بقوة ولم يستطع أن يشتكي السجين عندما كانت الشكوى تصل إلى الخارج يأتي مساعد النائب العام يحقق في الأمر وأخيراً يكذب الشاكي ويقدمه للمحكمة. لذلك لم يستطع أحد أنْ يقدم شكوى ضدهم.

يأخذ هؤلاء اللصوص يومياً 100-150 ليرة تركية ويوزعونها فيما بينهم ويأتي يومياً بين 5- 10 سجناء وكل واحد يعطي مساءً ضريبة وفي الصباح يأخذ رؤساء الغرف حصتهم، والباقي يقدمونه للمدير والآخرين أما هم فكانوا يأخذون نصف المبلغ والباقي يقدمونه لرئيسهم .

كانوا يتركون السجناء يذهبوا إلى بيوتهم ومن ثم يعودون مقابل أن يدفع السجين نقوداً كثيرة يهرّبون المشروبات الروحية والأفيون والحشيش إلى السجن ويبيعونها بأسعار باهظة وعلاوة على ذلك كانوا يلعبون القمار ويستفيد رؤساء الغرف منهم، وكانت هذه التصرفات خارج القانون ويتصرفون علانية في سجن دنزليه .

لم اكن أتدخل في كل هذه الأمور و أتحدث مع أحد سوى أن البونباشي يرسلني إلى المدير، ولم اكن أن أتعامل مع أحد .

كنت أمضي يومي في قراءة الكتب والمشي، ولم أتمش مع أحد أبداً وكان الكل مرتاحين مني، يتحدثون عني بشكل جيد، أثناء ذلك وجدت لنفسي عملاً كنت أسمع أخبار السجناء، وعمل مثل هذا يعرفني بأشياء كثيرة ويُفتح عيني أكثر، أليست الحياة مؤلفة من الخبرات والتجارب؟ وكل من يتعامل مع أمراض وهموم الناس عن قرب كان يتعلم أكثر، ماذا كنت

أطلب، سوى معرفة الناس لأنها هي المرة الأولى التي أسمع فيها الناس وأتعامل معهم وأتعلّم منهم .

بعد أن انشغلت بهذا العمل، لم يهتم أحد بمعرفتي كي يخبرني عن دعاويهم وعن قصصهم ويديرون ظهورهم لمعرفتي ومساعدتي، لم يوكل كثيرون من السجناء دعاواهم للمحامين بسب قلة المال، وكنت أستطيع أن أساعد الرجال الذين يطلبون المساعدة مني لذلك لم استمليهم باتجاهي، قرأت كتباً عن القانون مثل قانون الجزاء وأصول المحاكمات الجزائية، والقانون المدني، ثم أخبرت السجناء من سيستفيد مني سأدفع الطوابع فقط .

هذا ما جعل الفقراء يجتمعون حولي خلال ثلاثة أيام. كنت أقرأ القانون ليلاً وأكتب الاستدعاء في النهار، وأدفع ثمن الطوابع. اجتمع رجال حولي بسبب كتابة الاستدعاء مجاناً لكن لم يثقوا بي أنني سأحقق مطالبهم. تحققت بعض الاستدعاءات الصغيرة في الشهر الأول لذلك وثق أصحاب الاستدعاء بي وأحبوني من القلب، بعدها لم أدفع ثمن الطوابع كنت أكتب الاستدعاء مجاناً، وعندما جعلت أصحاب الاستدعاء يدفعون ثمن الطوابع اقتنعوا بي تماماً واجتمعوا حولي. هكذا كنت أحقق أعمال كثيرة للفقراء وكنت أتعلم كل يوم، علاوة على ذلك لو كنت بحاجة إلى ثمن الاستدعاء لكنت استطعت العيش بشكل جيد.

كان يوجد بين الأكراد المنفيين إلى دنزليه شاب يدعى سعيد فارتوي الذي كان يعمل ويعيش في بيت الوالي، تعرفت على الوالي بفضل سعيد فارتوي .ربما أخبره عني، رغم أن الوالي لم يرني لكنه دافع عني. كان يرسل لي أكثر الأحيان صحف عن طريق سعيد قال لسعيد: عندما يحتاج أوسمان إلى شيء فليخبرني بسرعة يجب أن يطلب مني أي طلب)) كان الوالي خالد بك كردياً. لكن لم يكن يريد أن يعرف أحدا بكرديته. تحسنت العلاقة بيني وبين الوالي كثيراً كان يرسل لي جرائد عن طريق ابنه علي إلى باب السجن .

نفيت إلى دنزليه بعد جميع الأكراد المنفيين، كانوا يقولون لي اوسمان الكردي فقط وعندما كان يشتكي رجل فقير أو لديه دعوى في المحكمة، يأتون إليّ، يعتقدون أنني سأساعدهم وعندما لم أستطع أن أساعدهم لم أدر بكل تأكيد ظهري لهم. كنت في هذا الوضع، جاء تلغراف ذات يوم لحاجي بدر بك يقول ((من أجل اجتماعك وافقت الوزارة في سجن ميرسين، أن يستفيد زينل ونجم الدين للسفر))

رغم أن بيت حاجي بدر بك في ميرسين عرفت أنهم سيحترمونني هناك كثيراً ولكن لم أحب أن أخرج من سجن دنزليه تعرفت على ما يدور حولي وتعرف الناس علّي أيضاً لو ذهبت إلى سجن ميرسيني لعشت بفضل حاجي بدر بك – لكن في دنزليه كونت لنفسي احتراماً، لذلك لم اذهب إلى سجن ميرسيني، وبقيت في دنزليه ولقيت الصعوبات. كيف نتعرف على الحياة دون هموم ومتاعب؟

بعد وصول تلغراف حاجي بدر بك بيومين أخبرني أن استعد غداً قبل الفجر ليرسلني إلى ميرسيني، عندما لاحظ الأكراد الذين كانوافي السجن أنني سأذهب وبقي لي ليلة واحدة، طلبوا مني أن أمضي ليلتي الأخيرة معهم. صراحة فرحت كثيراً بطلبهم وأخذت أغراضي إلى غرفتهم، لم ننم في تلك الليلة حتى الصباح ،وتحدثنا عن أوضاعهم قال الشيخ أمين:

قبل أن تأتي بفترة، كان لدينا شابين الأول يدعى نجات والثاني كاظم كانا من أبناء آغوات ماردين كانا يعيشان بيننا، لم يستطع الأتراك أن يتفوهوا معنا بكلمة لكن بعد أن ذهبا أزعجونا الأتراك قليلاً وعندما جئت رغم أنك لا تعيش معنا في الغرفة لكن لم يزعجونا أبداً. أخشى أن يسببوا لنا مشاكل عندما تذهب. أعرف جيداً أنه لا يوجد أحد منا يردهم أو يكتب تلغرافاً عندما تبدأ المشاكل، ماذا نستطيع أن نفعل معهم؟ "

قلت: ماذا تريدون؟ إن أردتم سأرسل لكم ثلاث تلغرافات وأخبروني عن تصرفكم إن حال واحد منهم يوماً أن يزعجوكم فتستطيعون أن ترسلوا التلغراف إليّ أعتقد أنهم ستتكسر رؤوسهم.

عندما لاحظت أنهم فرحوا لكلامي، أعطيتهم أربع صور للتلغراف. يتضمن في التلغراف كيف أن رؤساء الغرف مع مساعديهم يسرقون النقود من السجناء الجدد ويأخذون الضرائب أيضاً، وكيف يقطعون عنها طريق الشكاوي، كيف يأخذ مدير السجن والنائب العام ورئيس قره غال وضباط الشرطة حصصهم ولا يسمعون الشكاوي ، وأعطيت التلغراف للشيخ أمين وإبراهيم حاجي يعقوب كي يخبئان عندهما إلى حينه. جلسنا حتى الفجر لم يأت الشرطي الذي كان سيرافقني إلى ميرسين ولم يأخذني إلى القطار لم يمض كثيراً حتى سمعنا صفارة القطار ثم تحرك القطار، لم أذهب في ذلك اليوم، ونمت بعد ذلك ثم علمت من رئيس القره غال أن تقريراً كتب بحقي لدى يوزباشي الجندرمة، عندما يحين وقت التفقد، يضع ملفاتي على الطاولة يقول التقرير الذي كان لديه لا ترسلوا هذا السجين لقد كتب يوجد تقريراً بحقه يأخذ رئيس القره غال التقرير ويرسلها إلى أنقره ثم ويأتي الجواب بعد عدة أيام كي يرسلوني إلى ميرسين وبناءٍ على طلب الضابط الذي كان يجرد المعتقلين من النقود تأجل ذهابي لكن لم أعرف من يستفيد منه ومن يخسر، من عدم ذهابي؟ .

عندما لم يأخذوني في الصباح إلى ميرسين، لم يدعني الأكراد أن أعود إلى الغرفة رقم / 2/ أيضاً بقيت معهم في الغرفة رقم /4/ يا ليت كنت أعود ثانية إلى الغرفة رقم / 2/ بين الأتراك كنا على الأقل نبقى أصدقاء مع الأكراد: قال الأكراد قديماً " بعيد عن العين قريب من القلب " نسيت هذا المثل الرائع ودفعت ثمن نسيانه كثيراً .

كتبت لحاجي بدر بك رسالة بينت فيها أسباب عدم انتقالي إلى ميرسين وفي النهاية قلت:

((أحببت مناخ دنزليه، وتعرفت على ما يدور حولي خلال أشهر قليلة، لم أحب أن أبتعد عنها. ومن الأفضل أن أقضي سجني هنا))

فالذين ذهبوا إلى سجن ميرسين يصفون لي أنها ليست مناسبة ولا أحب أن أبقى مع ابن عمي نجم الدين في سجن واحد .قضينا عدة أشهر معاً وكنا على خلاف. كنا نختلف دائماً في الآراء لذلك ابتعدنا أخيراً عن بعضهما بغضب هل يجب أن نقترب مرة أخرى من بعضنا؟ أن نجرب ثانية، إن هذا ليس عملاً مناسباً أبداً.

التحزب بين الطائفتين

عندما ذهبت إلى الغرفة رقم / 4/ التي كانت فيها أكراد ليس لديهم رئيس القاووش وكانوا قرابة /60 / رجلاً من مناطق كردية مختلفة اجتمعوا في السجن، ولا يوجد أي روابط بينهم سوى اللغة التي يتكلمون بها. كان بينهم قرابة / 30/ رجلاً من ماردين وثلاثة من وجهائهم هم إبراهيم حاجي يعقوب وخمسة أشخاص من ظاظا. وأربعة من بيران وبينهم الشيخ أمين ابن الشيخ قاسم. وسبعة أشخاص من رشكوتان وكان الملا عبد الله البشيري يتبع أثر بهاء الدين ابن الشيخ زيلان وكان عمر آغا بن حسام من عائلة آغوات سار مثلي وحيداً. لم يكن أحد معه من بلاده لم تجد هذه المجموعة رئيساً لهم علماً أنها زرعت روح الإقليمية فيما بينهم بشكل غريب يقولون، أنهم أكراد وليست هناك رابطة قومية بينهم سوى اللغة. هذا هو وضع الأكراد الذين كانوا في سجن دنزليه الذين كنت بينهم وأردت أن أبقى معهم استحسن مدير السجن ذهابي إليهم وكان يعتقد أن تلك المجموعة الثرثارة والفوضوية ستتحسن بقدومي إليهم، لكن هيهات لم تطلب المجموعة زعيماً، كانت بلا زعيم، يريدون أن يبقوا كما هم. قضينا عدة أشهر دون مشاكل لم يتجرأ الأتراك أن يتفوهوا معنا بكلمة، وأثناء ذلك تغير مدير السجن . وجاء مدير جديد هو رجل أحمق عوضاً عن السابق. كان المدير الجديد رئيس الشرطة وقد أستقيل من الوظيفة لكبر سنه، ثم أحضروه ونصبوه مديراً للسجن لأنه كان جاهلاً، لذلك يتدخل ضابط الشرطة يتدخل ويفعل كما يحلو له. أثناء ذلك أصبحنا نحن

الأكراد قوة لا يستهان بها في السجن، ولم يتجرأ المعتقلون الأتراك أن يقتربوا منا. لم يدم هذا طويلاً لأن الشيخ أمين بدأ يؤذي (يفسد) ومن عادته لا يقترب من شيء بل يعكر صفوة المهجع من بعيد، يحرّض الأصدقاء على بعضهم وينظر إليهم من بعيد. دون أتقاتل مع أحد، شممت رائحة المكيدة تتصاعد من الغرفة، هي رائحة التحزب أسمع من جهات مختلفة في الغرفة. ((لماذا يأتي رجل وحيد ويصبح زعيماً للغرفة)) .

عندما سمعت هذا الكلام قلت للشيخ أمين وإبراهيم حاجي يعقوب: "لم آت إلى هنا من أجل زعامة الغرفة وإن كان مدير السجن يحترمني فهذا ليس لأنني زعيم الغرفة، لأنني أساعده في الكتابة أنتم طلبتم مني أن أكون زعيم الغرفة فأصبحت، لكن عندما لا تريدون سأتركها لكم. من يجد نفسه كفئا للمهمة فأنا أوافق عليه فوراً "

قال الشيخ أمين بصراحة :

((نحن لا نوافق أن تكون زعيم الغرفة، ولا نوافق أن تذهب إلى مدير السجن أيضاً)).

أجبت بهدوء:((شيخي المحترم، لا علاقة لكم بذهابي إلى المدير، هو يرسل إليّ وأنا أذهب إليه لأكتب له وأنظم الدفاتر))

كشف الشيخ أمين القناع عن وجهه دون حياء ولم يستطع أن يقف دون مشاكل، في كل مرة كان يبث سمومه في وجه أحد السجناء بلسانه الطويل أصبح كل من في الغرفة اصبحوا أعداء بعضهم، بل يحرض الغرفة على من يسمع كلامه، لا يعرف الصداقة، رددت عليه لأنني عرفت فيه أخلاقه السيئة. قبل ذلك بعدة أيام تهجّم على عمر آغا شرنخي بلا سبب. قلت له بيني وبينه ثم أمام الجميع:

"إن هذا التهجم لا يليق بك ". عندما لاحظت أنه لا يهتم لكلامي قلت له "لا أحد تهجمك هذا سوى المشاجرة، ولا أجد هذا يناسب رجلاً مثلك "

صحيح أنه لم يتفوه بكلمة، لكن لم أعتقد أنه سيحاربني سراً ويستطيع أن يبث روح الطائفية بين السجناء. لم يمض طويلاً وقد بدأ من كلامه أنه فكر بأشياء كثيرة، تذكرت كل شيء، لكن لم أتذكر أن الشيخ أمين يسلم صورة التلغراف إلى مدير السجن ورؤساء الغرف. عندما طلبني المدير في الصباح ذهبت إليه اجتمع الأكراد عدا عمر آغا شرنخي عند الشيخ أمين وقال لهم:

((إن اوسمان رجل وحيد لا يوجد أحد من منطقته معه ورغم ذلك استلم زعامة الغرفة منا بالقوة لو وافقنا بزعامة أي شخص، لما جئنا إلى هنا، رغم أننا أخبرناه ألا يذهب باسمنا إلى المدير، ها هو ذهب الآن أيضاً ماذا تقولون ؟)).

قال الجميع معاً: نحن لا نريد لكن ماذا نفعل؟ والمدير مسرور منه ويساعده))

قال الشيخ مؤكداً: أعرف كيف أدب النزاع بينه وبين المدير، لكن لا أريد منكم أن تساعدوه.

قال الجميع معاً: نحن لن نساعده بل سنساعدك .
بعد أن عدت من المدير حذرني عمر آغا الشرنخي منه. رأيت أن السم والغصب يتقطر من وجوه الجميع، تحدث الشيخ أمين مع حاجي إبراهيم يعقوب وخرجا بعد ذلك، يبدو من وضعيهما أنهما يريدان أن يدبران لي مكيدة .
أرسلت رجلاً يدعى خكه حسن ورائهما، لأعرف ماذا يفعلان ويتحدثان مع من؟
بعد فترة جاء خكه حسن وهمس في أذني: ذهب الاثنان إلى غرفة رقم/ 7 /وتحدثا مع رئيس الغرفة قليلاً.
وبعد ذلك اجتمع رؤساء الغرف هناك وكان معهم الأوراق وهم يقرءون فيها ثم اتجه اثنان منهم إلى غرفة المدير. جاء الاثنان بعد فترة ويبدو من وجهيهما أنهما تصرفا شيئاً معيباً لم يتجرأ أن ينظر إليّ. عندها تذكرت كل شيء، وعرفت أنهما أوصلا صورة التلغراف إلى المدير ورؤساء كي يصبح الجميع أعدائي. بعد فترة رأيت أن رئيس قره غال جاء وقال لي:
((يجب أن تأخذ فرشتك إلى الغرفة رقم / 7/ وسنرى ما يجب الغرف، أن نفعل بك))
خرج الكلام من فمه كسموم الأفعى. كان يفكر بشيء ما. لكن لم أعرف ماذا أفعل. أرسلت فراشي إلى الغرفة رقم /7 /.
كان الجميع ينظر إليّ بعداوة، عرفت أنهم سيسببون لي مشاكل، لكن لم أعرف كيف أتخلص منهم. جاء جميع رؤساء الغرف إلى الغرفة رقم / 7 /وقالوا لي وجهاً لوجه: بعد أن اتهمتنا نحن والمدير والجاويش والنائب العام الآن وقعت بين أيدينا وليكن في علمك أننا منذ الآن سنمزقك بالسكاكين، لديك أربعمائة ليرة عند المدير يجب أن تعطينا كل مرة / 50/ ليرة. ربما تشتري حياتك بالمال. يجب أن تعرف منذ الآن أنك معتقل في الزنزانة.
كنت أخشى أن يقتلوني في تلك الليلة، إذاً هم يريدون أن يأخذوا النقود مني لكن ينتظرون الفرصة كي يضربوا ضربتهم. قلت: كما تريدون.
أفرغوا جيوبي ومحفظتي، أخذوا كل النقود والأقلام والأوراق والدفاتر التي كانت عندي . يراقبني حارسين يقظين كي لا أتحدث مع أحد.
عندما استيقظت في الصباح الباكر من النوم، كان الحارسان يجلسان بجانبي وقد أخبرني الاثنان يجب عليك ألا أتحدث مع أحد، وعندما أخترق النظام يحق لهما أن يمزقاني بالسكاكين. كان الحارسان يرافقاني أينما ذهبت، وابتعد عني جميع المعتقلين، كمريض ينقل العدوى إلى الآخرين يخشون أن يقتربوا مني، وكان الأكراد المعتقلين يرون أن وقوعي في أيدي الأتراك نصراً لهم.
فرح الجميع بمصيبتي ، النقود التي ستؤخذ مني لهم حصة فيها.

أرسلوني قبل الظهر إلى المدير كي أجلب خمسين ليرة لهم. عندما دخلت إلى غرفة المدير كان وجهه يتقطر سماً ولم ينظر إليّ، طلبت خمسين ليرة أعطاني دون أن يتكلم، وأخذ مني ورقة صغيرة، وقبل أن أخرج قلت له :
-أنت تعرف الوضع الذي أنا فيه، لقد سمعت كلام المحكومين الحمقى دون وعي . وأخيراً ستتحمل مسؤولية تصرفاتهم جميعاً .
-لست بحاجة إلى نصائحك .فالذي يحارب الأشقياء سيقع بين أيديهم. لقد حفرت قبرك بيديك، وفتحت طريق الشكوى أمام المعتقلين. والآن ستدفع عقوبة حماقتك.
-سنجد من هو الأحمق.
قلت دون أن انتظر جوابه وخرجت من غرفته. أخذوا مني جميع النقود التي أخذتها من المدير كانوا يقدمون لي الطعام، كنت أكل كما يتطلب مني .لم تسنح لي الفرصة في ذلك اليوم أن أتحدث مع أحد. كان الحراس يقظين جداً. يمنعونني أن أقترب من الأكراد أو أن يقترب أحد مني. كان يوجد بين الذين هؤلاء رجل يدعى " أحمد " ولم يعط له المدير نقوداً من تفتيش المعتقلين. قال لي قبل ذلك عدة مرات أن لديه أربعة أطفال ولم يكفِ راتبه مصروف أولاده، وكان المدير يقدم النقود لأصدقائه من التفتيش والضرائب دون أحمد. لا يعرف ماذا يفعل !
كنت أضحك في سري على ضعفه وقذارته والآن أستطيع أن أستفيد منه .التقيت به في اليوم الثالث رأيت الشفقة في عينيه. ابتعد عني الحراس قليلاً لأنهم لم يعتقدوا أن أحد يساعدني، عندما سنحت لي فرصة التحدث قلت له:
-لقد حان موعد التفتيش أيضاً كما ترى: سأعطيك / 25/ ليرة مقابل أن تصل رسالة إلى خالد بك.
التفت حوله بخوف ثم تحدث بوجه مشرق وكأنه وجد شيئاً ثميناً.
-هل تعرف أنهم يظلمونني ولم يعطوني شيئاً.
-ماذا يجري لو أخذت رسالة منك إلى الوالي؟
-سآخذها بشرط ألا يعرفها أحد، أعرف أنك لن تنساني.
طمأنته أن لا أحد يعرف وسيكون هذا سراً بيني وبينه . لم يكن لدي قلم ولا ورقة، أحضر لي القلم والورقة وأعطاني سراً.
كان يجب علي أن أكتب الرسالة في المرحاض ليلاً كي لا يرها الحراس، سنحت لي كتابة الرسالة في المرحاض. اخذ أحمد الرسالة وسلمها للوالي باليد.
دبت الفوضى في السجن مساءً، تفاجأ المدير والحرس والجندرمة ورؤساء الغرف كالأشجار التي تلعب العاصفة بها، كانت هناك حركة عجيبة، جاء رئيس الغرفة رقم /7/ إليّ، ابتعد الحارسين عني بإشارة من رئيس الغرفة قال لي بصوت هادئ خذ أغراضك إلى الأكراد، ولا تنسى أنهم كادوا أن يقتلوك لو لم أتدخل، يجب ألا تنكر جميلي.
خرجت الكلمات من بين شفاهه بهدوء وبدا عليه الخوف من خلال

عينيه، عرفت أن سهمي حقق هدفه، لذلك رددت عليه وقلت:
-بسبب جميلك لا أريد أن أخرج من الغرفة، يجب أن يكون فراشي هنا لم ننه كلامنا حتى كان بواب السجن مع / 30 –40/ من الجندرمة بالسلاح وورائهم بينباشي فهمي ثم النائب العام دخلوا السجن وأخيراً دخل المدير شاحب الوجه وتحول شكله كالذي تعفر في الرماد، وتحلق الجميع في باحة السجن وصرخوا علي .
بدأ النائب العام يسألني:
-هل أرسلت هذه الرسالة للوالي يا أوسمان الكردي؟
-نعم يا سيدي أنا كتبته.
-تقول أن حياتك في خطر، هل هذا صحيح؟
-نعم لم يبق بيني وبين الموت إلا قليلاً، كان من الممكن أن أقتل في أي لحظة.
-من هم الذين يريدون أن يقتلونك؟
-هناك من يدفعني للقتل وهناك من يريد أن يقتلني. أيهما تريد؟
-أريد أسماء الجميع الذين يدفعونك إلى القتل.
- هم مساعد النائب العام .يوزباشي الجندرمة، رئيس القره غال ومدير السجن. أما الذين يريدون قتلي فهم رؤساء الغرف مع مساعديهم .
-السبب؟
-عندما أرادوا أن ينقلوني من هذا السجن إلى سجن ميرسين قبل ثلاثة أشهر، كتبت ثلاث تلغرافات وأعطيتها للشيخ أمين الذي سيقدم التلغراف للمدير عندما يقع عليهم الظلم وبعد أن دب الخلاف بيني وبين الشيخ أمين (بعد أن غضب مني الشيخ أمين)، قدم صور التلغراف الذي في حوزته للمدير وشركاءه وهذه تعتبر فضيحة لهم وهي الآن عندي لذلك أرادوا أن يقتلونني.
-هل تستطيع أن تروي لي فضائحهم؟
-أستطيع أن أرويها وأثبت كلامي بالحجج والشواهد الثابتة، لكن بشرط أن تعزل جميع رؤساء الغرف مع مساعديهم وتضعهم في الزنزانات عندئذ سأروي لك كل شيء
- هل تستطيع أن تقدم أسمائهم؟
أخبرته عن / 22/ اسماً، أحضروا الجميع وقيدوهم ثم أنزلوهم إلى الزنزانات.
ثم التفت إلى المدير وقال:
- يسمح بالأسئلة منذ الآن فصاعداً، ولكن يمنع أن تضرب أي معتقل دون علمي. عندما تخالف أمري سيدمر بيتك، هل سمعت ؟
ثم قال لي بوجه بشوش :
- يبدوا أنهم أتعبوك كثيراً، ارتح اليوم، وغداً سآتي للتحقيق. لا بد أن الحقيقة ستظهر وسينال المذنب عقابه.
بعد ذلك ذهب اليوزباشي والجندرمة وتركوا السجن في خوف رهيب.

عندما قيدوا أقدام رؤساء الغرف، خاف الشيخ أمين وإبراهيم حاجي يعقوب كثيراً أن أسجل أسميهما بين رؤساء الغرف ومساعديهم . عندما رأوا أنني لم أتحدث عنهما قال الشيخ أمين بصوت منخفض "لقد أخطأنا بحقك، وما تفعله، لن نلومك. "

لم أرد عليه أدرت ظهري إليه ابتعدت عنه. رجل مثله لا يخجل من الكلام .

جاء النائب العام في الصباح للتحقيق. أحضرت أكثر من عشرين شاهداً إلى المحقق، وعندما اتضحت له الحقيقة قال لي:

لم أكن أتوقع أن تمر أخطاء مثل هذه الأخطاء عليّ حتى نستطيع أن نقدم شيئاً مفيداً، أنا أحتاج إلى صلاحية أكبر. تكلمت مع الوالي البارحة، وسأذهب اليوم إليه وأتحدث معه حول هذه القضية.

أعتقد أنني سأحصل على صلاحيات جديدة، مضت ثلاث أو أربع أيام. ولم يستطع رؤساء الغرف والجندرمة والمدير أن يتحركوا قال لي كاتب المدير ذات مساء : طلبني النائب العام للتحقيق. قلت له كل شيء، هل تعلم أنه ليس لي علاقة بهذه الأشياء. هم يرتشون لماذا أخون ضميري. غداً سيأتي النائب العام إلى السجن يبدو أنه سيفعل شيئاً " لم أهتم بكلامه، لأنه عندما رأى أن كل الأمور قد افتضحت، يريد أن يبتعد عنها.

جاء النائب العام في الصباح وقال لي أمام المدير.

-اعطني أسماء كل الذين كانوا مع هؤلاء، أريد أن أنقذ السجن من المؤامرات والسوء.

قدمت له / 60/ اسماً آخر. أعطى القائمة للمدير وقال: أحضر هؤلاء مع السلاسل، سنرحلهم في الصباح الباكر إلى (ايضن) وأزمير بالقطار.

ثم التفت إليّ وقال: يجب أن تساعدني كي لا نترك أحداً يسرق في هذا السجن ولا أن يخدع المعتقلين، ونمنع شرب العرق فيه وألا يُضرب المعتقلون. وعندما يحدث أي شيء من هذه الأشياء أخبرني بسرعة.

هكذا أصبح السجن نظيفاً ينفذ المدير كل ما أطلبه ولا أحد يتجرأ على مخالفتي.

وكان الأكراد الذين يتمنون السوء لي ينتظرون السوء مني هذه المرة، لكن قتلت فيهم هذه الفكرة.

ثم عدت ثانية إلى غرفة الأكراد وكأن شيئاً لم يكن. عندما عدت إليهم، أراد البعض منهم أن ينتقد نفسه، لكنني منعتهم واختصرت الحديث بكلمات قليلة حيث جعلتهم أن ينسوا ما فعلوه من قبل. كان يجب ألا تحدث هذه الأشياء. بسبب أخطاء البعض منا وحسدهم جعل هذا بيننا، أعتقد أنه لم يحدث أي شيء بعد. لقد نسيت التصرفات الحمقاء التي حدثت لي، يجب ألا يذكر أحد تلك التصرفات.

كنت أريد أن ينسوا ما فعلوه، لكن يبدو أن الشيخ أمين غير موافق، يفعلون أمامي الرذيلة ويقولون فيما بعد:

لقد تجاهلنا وتجاهل تصرفاتنا

كان هذا أصعب من العقوبة بالنسبة لي.
يبدو من هذا الكلام أن الشيخ أمين مازال يحمل الحقد في قلبه، ينتظر فرصة كي يلدغني ثانية ولم أعطه هذه الفرصة.
لم استطع أن أثبت للنائب العام أن مساعد النائب العام في التحقيق واليوزباشي شركاء المدير ورئيس القره غال في سرقة النقود. نظف السجن من اللصوص والظالمين، ولم يعد أحد يخرج عن القانون. كان النائب العام يأتي كل شهر مرة، ويقول لي أمام الجميع: هل يوجد شيء يحتاج إلى الشكوى في السجن يا بك الأكراد ؟ ما زالت لدي الصلاحيات الممنوحة من أنقره، أستطيع أن أفعل أشياء كثيرة.
كان السجناء يخافون كثيراً من هذه الكلمات، لم يستطع أحد أن يرفع رأسه. كذلك لا يستطيع الشيخ أمين وإبراهيم حاجي يعقوب أن يشذا عن الطريق، يقفان ذليلين أستطيع أن أقول حدثت هذه التغيرات في تلك السنوات حتى صدر قانون العفو. خرجنا من السجن ولم يحدث أي شيء في السجن، ولم يشتكِ سجين من وضعه. عندما كان يشعر أحد بالظلم، كنت أرفع عنه هذا الظلم بسرعة.
قضينا سنة هكذا. ولم يكن الوضع مريحاً لأمثال الشيخ أمين لأنه لم يستطع أن يفعل أية مشكلة، وليس من أخلاقه أن يفعل خيراً. كان يشكو عدة مرات من أصدقائه وكنت أتحمله كثيراً لأنني كنت أعرف أخلاقه جيداً كنت أرد عليه وأقول :
- سأسأل، عندما يكون صحيحاً سأنصحه.
كنت أقطع عليه طريق المشاكل من أوله.
أطلق سراح جميع السجناء السياسيين. وانقسم السجناء إلى قسمين، الذين كانت جرائمهم قبل ثورة الشيخ سعيد أطلق سراحهم. لكن الذين كانت جرائمهم بعد الثورة لم يطلق سراحهم لذلك بقي إبراهيم حاجي يعقوب مع ثمانية أشخاص من ماردين في السجن والذين أطلق سراحهم لم يذهبوا إلى بلادهم، بل سكن كل أربعة رجال في الغرف الفارغة للأرمن في المدينة , احترمني مدير الإسكان، أعطاني بيتاً جميلاً وقال :
ربما تبقون هنا أكثر، ليكن هذا المنزل هدية مني إليك، شكرته وتركت المنزل لأصدقائي ثم ذهبت إلى الفندق كان المنزل بحاجة إلى أثاث قبل كل شيء ولم يكن لدي أثاث لأفرش المنزل ثم أنني لم أحب أن أسكن في حي الأرمن.
بعد أن بقيت عشرة أيام في الفندق، أعطاني رجل يعمل في طب الأسنان منزله مع فرشه ستة أشهر بلا ثمن ،لأن أهل (دنزليه) يحبون الغرباء، لم أر صانع الأسنان سوى مرتين. عندما عرف أنني أبحث عن غرفة مفروشة، قال لي وكأنه صديق قديم :
لدي منزل في ((ايضن)) سأذهب إليه في الربيع وأقضي في منزل عديلي ستة أشهر، ترى أنني أقدمها لك دون منٍّ، عندما تريد أن تسكن فيه فأنت تقدم لي جميلاً بكل تأكيد.

وعندما تعود إلى بلادكم قبل قدومي ستعطي المفاتيح إلى فلان (أعطاني اسم حلاق).

كان المنزل مفروشاً بشكل جيد مؤلفاً من غرفتين. وقبلت هدية صانع الأسنان مع شكري وسكنت في المنزل كنا نجتمع في كل يوم عند المساء في حي الآرمن. وكان يأتي إلينا رجل من قبل دائرة الشرطة، ويقرأ الأسماء ليعرف من لم يحضر منا. كنا نجد للفقراء حلاً، منهم من يعمل بعلم مدير الشرطة في القرى.

رأيت ذات يوم في منزل الوالي مدير الشرطة ويدعى شاكر بك كان كردياً لا يعرف الكردية كالوالي لكن لا ينكر كرديته، بعد أن تعرفت على شاكر بك. جرت أمورنا ميسرة من قبل الشرطة، كنا نذهب إلى اجتماع الشرطة نحن الذين كنا في المدينة كل يوم، والذين كانوا في القرى يجتمعون كل أسبوع مرة واحدة. استلمت دفتراً باسم الأكراد المنفيين، كنت أدون فيه مكان العمل والإقامة وعندما لم يحضر أحد من الأكراد كانوا يسألونني عنه، لذلك كنت مطلعاً على جميع أعمال وتصرفات وتحركات الأكراد هناك.

الغدر والخيانة

اعتقدت أن الذي حدث بيني وبين الشيخ أمين وإبراهيم حاجي يعقوب قد فات وانتهى، عندما أطلق سراحنا من السجن كنت معتقداً أن الحقد الذي في داخل الرجلين يُملأ جدران السجن لكن عندما خرجا من السجن إلى الأرض الواسعة التي لا حدود لها، كان يجب أن يتلاشى الحقد الأسود في الفضاء الواسع. . بعد أن عرفت خطئي بأن الصدور التي تحمل الحقد كلما اتسعت الأرض بهم يزداد الحقد ويتسع، وقليلاً يمضي الحقد بلا ضحايا.

كان بين المعتقلين الأكراد من منطقة خاربيت رجلُ واحد فقط يدعى حمدي. بعد وصولي إلى / دنزليه / بستة أشهر وصل هو أيضاً إلى هناك. بقي في السجن كثيراً لأنه لم يملك ثمناً لأجرة الطريق وعانى الضيق والفقر والبؤس والألم والتعب. عندما وصل إلى سجن دنزليه كان يرتدي ثياباً رثة ممزقة بحيث يخر منها السمسم. ولحافه لم يكن أفضل من الخرقة الممزقة. عند قدومه أحرقت لحافه، وأعطيته لحافاً جديداً مع بطانية تأثر كثير من المعتقلين الأكراد لوضع حمدي وساعدوه، منذ ذلك الوقت كنت أسأل كل مرة عن أوضاعه وأساعده أيضاً. ولم يكن شاباً عديم المروءة يعمل أي عمل، ولم يقف مكتوف اليدين. وكانت زنوده أقوى من كل شيء والأكثر هي القوة والجرأة التي في عينيه يشد انتباه الناس.

بعد أن خرجنا من السجن، كان وضع حمدي جيداً رغم أنه لم يعمل ،

ثيابه وصحته ووجهه النضر يوحي أنه من الأغنياء.
كنت أمشي ذات يوم في شارع، رأيت حمدي، شاحب اللون، أصفر المحيا سألته :
"أراك لست على ما يرام يا حمدي. ماذا حدث لك ؟ إن كنت في ضائقة أستطيع أن أساعدك ". دار في مكانه ثم رفع رأسه ونظر إليّ. لا يمكن أن أنسى نظرته في حياتي.
يظهر من خلال نظرته العداوة والصداقة، الحق والحب، الجميل والنكران قال لي بصوت محبب :
حمدي ابن زنا، لا يعرف والده، لا يملك شرفاً ولا وجدانا، يريد أن يخونك عوضاً عن تقديم الجميل. هل تريد أن تساعده أيضاً ؟
لم أفهم شيئاً أول الأمر ماذا يقول. تذكرت أنه غير موافق على حالته يبدو أنه يتكلم لأن وضعه سيء قلت له بلهجة أخفف عنه :
لا أحد يتجرأ أن يلطخ شرفك. لا أصدق أبداً أنك تسعى إلى إساءتي، لو أن أحداً أخبرني بذلك، لقلت إنك تكذب.
وكأن كرباجاً لسعه، فجأة نهض وقال بصوت جاف :
أقول إن حمدي بلا شرف، هل هناك أحد يغدر نفسه، حمدي ليس كردياً وابن زنا.
ماذا جرى لك يا رجل تخون نفسك ؟
أقول الحقيقة، أنا ابن زنا ليس لدي أب، أنت تقدم لي المساعدة وأنا أفكر بخيانتك، هل هناك أكثر من هذا ؟
لم أفهم كلامك، ولا أعرف ماذا تقول ؟
-صحيح لم تفهم بعد، لأنك طيب القلب، أنت لا تعرف، نحن أولاد الزنا ماذا نفكر بحقك !
-من ؟
-أنا والشيخ أمين وإبراهيم حاجي يعقوب. وأذنابهما.
-مازال إبراهيم في السجن ماذا يستطيع أن يفعل ؟
-اسمعني جيداً. سأروي لك القصة من أولها ((بعد أن خرجنا من السجن بستة أيام أرسل حاجي إبراهيم أخاه يوسف إليّ، ذهبت معه إلى السجن . وقال لي : ((كان اوسمان صبري، رجلاً وحيداً هنا لا أحد معه من بلاده، ورغم ذلك يرأسنا في السجن، وعندما خرج تزعم أيضاً الأكراد المنفيين. نريد أن يتورط بمشكلة كي يعود ثانية إلى السجن ويعرف ما هي الزعامة ثم مد يده إلى جيبه وأعطاني خمسين ليرة وقال ((لقد اشترينا مسدساً قلابا، "ثم قدموا إليّ أدخل طلقة قديمة في اللولب وأطلقها، ثم اقطع الطريق عن اوسمان ذات ليلة، أنت أقوى منه ارم المسدس بين أقدامه. وأمسك به ثم أصرخ عالياً. لقد اتفقنا مع شرطي سيأتي عندما يسمع صوتك وقل للشرطي : أطلق اوسمان عليّ النار، إنه يريد أن يقتلني، لكن لحسن الحظ لم تخرج الرصاصة. عندها سيدخلونه إلى السجن. ثم تأتي إليّ وأعطيك خمسين ليرة أخرى، منذ عشرين يوماً أذهب يومياً إلى

السجن ويعطونني رغيفين، المسدس عندي لقد تعرفت على الشرطي ولم يبق شيء سوى التنفيذ.
-هل المسدس عندك الآن ؟
-خبأته في مكان قريب من بيتك، في بيت مهجور
-لماذا لم تفعلوا حتى الآن ؟
-كنا بحاجة إلى الشرطي وقد دبروا قبل يومين الشرطة، والبارحة أخذوني، وتعرفت عليه.
-كان اجتماعنا أثناء غياب الشمس وكي انتظر عودتك إلى البيت، لكن الآن أرشدني الله إلى الطريق الصحيح وعرفت حقد وقذارة قلبي.
-هل تستطيع أن تريني المسدس ؟
-هيا سأعطيك الآن.
مشينا معاً. كان حمدي مطأطيء الرأس كطفل مذنب لا يتكلم، لم يستطع أن يرفع رأسه وينظر إليّ. عندما وصلنا إلى الشارع الذي أسكن فيه، أخرج حمدي المسدس من بيت مهجور، ثم قدمه وكان فيه أربع طلقات فاسدة.
هذا صحيح يا حمدي، لكن هل تستطيع أن تدلي بهذا الكلام أمام الشرطة ؟
أستطيع أن أقول أمام الله أيضاً.
جميل لا تخبر أحداً، عندما نذهب إلى اجتماع الشرطة في المساء سأقابلك بالشيخ أمين، هل توافق على هذا التصرف ؟
نعم إن لم أوافق فهذا يعني أنني كاذب.
أخذت المسدس معي كي نلتقي مساءً في اجتماع الشرطة. ذهبت مساءً قبل الجميع، كان حمدي يقف هناك قبلي، يبدو من خلال عينيه أنه ذئب مفترس، كان أكرادنا يأتون زرافات ووحدانا إلى الاجتماع.
لو قدمت المسدس للحكومة ويشهد عليه حمدي، لأعتقل الشيخ أمين مع ستة من الرجال من ماردين. وكان يوسف شقيق إبراهيم حاجي يعقوب واحداً منهم. فكرت كثيراً أن الشيخ أمين وإبراهيم حاجي يعقوب يستحقان العقوبة، لكن ترى هل يستحق الستة الآخرون الذين كانوا أذناباً لهم هذه العقوبة ؟ إن الجواب على هذا السؤال يزعجني كثيراً. لم يبق للعودة إلى البلاد إلا القليل، هل يصح أن أكون سبباً لعدم عودة بعضهم ؟ تركت ورائي في البلاد بعض الآمال الجميلة، لكن الذين سيعتقلون أليس لديهم هذه الآمال والأحلام ؟ حتى لو كانوا معتقلين فلا يتلاشى آمالهم. عندما وصلت إلى هذه الفكرة، تذكرت شيئاً وأقشعر بدني.
لكل معتقل زوجة مثلي وأخت وأولاد ينتظرونهم في البيت، وعندما يذهب أصدقاؤه ويخبرون الناس عن السبب الذي اعتقلوا فيه مرة أخرى ،ربما يقول أصدقاؤهم وزوجاتهم وأولادهم :((لا يوجد أي سبب، دون أن يعرفوا أن رجالهم مذنبون، لأن الناس لا يرون أخطاء أصدقائهم . ترى هل دعوة من القلب تصبح صحيحة ؟ ثم عندما لا أسامح أخطائهم أين

الشهامة والرجولة ؟
مرت هذه الأفكار في ذاكرتي وقد هزتني من الأعماق، عندما ذهبت إلى اجتماع الشرطة كنت قد توصلت إلى هذه النتيجة. لذلك لم أفكر بالشكوى، فقد كنت أريد أن أفضح الشيخ أمين وأصدقاءه كي يتخلوا عن هذه التصرفات.
عندما وصل الجميع إلى هناك، وقعوا على الدفتر وأعطيته للشرطة وقبل أن يفترقوا صرخت بصوت عال :
لدي كلمتان، أرجو أن تسمعوني كي تعرفوا الحقيقة.
بعد أن تحلق الجميع حولي، أخرجت المسدس من جيبي، ورفعته عالياً بحيث يشاهده الجميع وقلت بعد ذلك:
أيها الأخوة . يعرف البعض منكم هذا المسدس لأنه هو الذي اشتراه. وأيضاً يعرف لماذا اشترى إن أردت أن أقدم المسدس للشرطة ويشهد حمدي على ذلك أعتقد أن بعضاً منكم لن يعود إلى البيت . رغم أنني أعرف تماماً أن أولئك الرجال يستحقون العقوبة، لكن لن أتصرف هكذا وأحرمهم فرصة الذهاب إلى البيت فأنا رجل شجاع. أردت أن أتركهم لوجدانهم حتى يعودوا لأنفسهم فلنصل جميعاً بالسلامة إلى بلادنا، قد لا نرى بعضنا مرة أخرى، يجب أن تعرفوا أنني أستطيع أن اشتكي في أية لحظة. المسدس معي ويشهد حمدي أمامكم. بعد ذلك لن تستطيعوا أن تتأخروا عن الشهادة هل تستطيع أن تقول أي شيء يا حمدي))
عندئذ روى حمدي القصة لهم منذ البداية . أثرت القصة تأثيراً قوياً في المستمعين. أنكر الشيخ أمين القصة من أساسها وقال ((حمدي يكذب، ربما طلب إبراهيم حاجي يعقوب أخاه مع بعض الناس من ماردين لأجل هذا . لكن ليست لي علاقة، ولا أعرف شيئاً عنه))
قال حمدي : " ليحلف يوسف حاجي يعقوب بالطلاق إن لم يقدم لي هذا المسدس بيده وقد عرّفني في الليلة الماضية على الشرطي أيضاً "
قال يوسف دون أن يحلف " حمدي ابن زنا يكذب " قبل أن يسمع رد حمدي تركنا ومشى، انقسم الأكراد إلى قسمين : يقول البعض :" صحيح " أما الآخرون فيقولون : "هذا كذب "هكذا عدنا من اجتماع الشرطة، ولم تستطع المجموعتان أن تطلع المجموعة الأخرى على ما جرى. جاء الشيخ أمين صباحاً إلى بيتي وأراد أن يصفي نيته. سألني بعد التحية:
هل تصدق كلام حمدي، وتشك فيّ ؟
لا أعرف مدى علاقتك بهذه الخيانة. لكن الحقيقة التي لا أشك فيها، أن يوسف حاجي يعقوب قد أعطى المسدس لحمدي، ألم تر البارحة أن يوسف لم يستطع أن ينظر إلينا، ثم هرب خوفاً من القسم.
صحيح وجهت الأنظار إلى يوسف بعد أن هرب .
إن كان صحيحاً أم كذباً يجب أن ننسى. يقول الأكراد منذ القديم ((لقد تصرف الرجل وانتهى إن كان سيئاً أم جميلاً))
عندما ذهب الشيخ أمين، كان شكله يوحي بأنه مذنب. لأن وجهه كان

يشي بأنه مذنب ورغم ذلك، يعطف الرجل عليه. أرسل إبراهيم إلي بعد يومين، ذهبت إليه، قال بصوت ضعيف (عاجز): كان هناك سوء تفاهم بين يوسف وحمدي واتهمنا حمدي بهذه الكذبة. يجب أن تعرف أننا لسنا أصحاب المشاكل .

كما قلت للشيخ أمين، أيضاً قلت لإبراهيم: إن كان صحيحاً أم كذباً يجب أن ننسى هذا.

يعطيك العافية. لاتقدم شكوى ضد احدٍ.

لقد بدأ إبراهيم يخاف من الشكوى كثيراً لذلك قلت له :

-لن اشتكي ولا أسلم أحداً إلى الله أعتقد أن التسامح أفضل أليس كذلك ؟

-نعم للمرة الثانية تغمرنا بجميلك.

افترقنا أنا وإبراهيم عن طيب خاطر، لكن لم يتجرأ يوسف أن يرفع رأسه أمامي . كلما رآني ظهرت علامات المذنب على وجهه .

العودة إلى الوطن

أمضينا ثلاثة أشهر منفيين خارج السجن في ديزليه. تتراصف كل يوم صفوف أكرادنا وتتوحد. بعد أن قضينا ثلاثة أشهر خارج السجن، أرسل رئيس الشرطة يوماً إليّ وقال : جاء قرار عودتكم جميعاً، من الآن فصاعداً تستطيعون أن تعودوا إلى بلادكم. فالذي ليس لديه أجرة الطريق عليه أن يبقى حتى ترسل دائرة الإسكان من أنقرة مساعدة مالية له.

من لا يملك أجرة الطريق كم يوماً يسمح له أن يبقى حتى تأتي المساعدة من الإسكان؟

شهران أو ثلاثة ليس أكثر من ذلك.

تستطيع أن تعطيني أسماءهم كي أرسلها إلى أنقرة.

"بعد أن شكرته عدت إلى البيت كان بين المنفيين أكثر من عشرة فقراء لا يملكون أجرة الطريق يعملون من الصباح حتى المساء وما يتقاضون من مال لايكفي ثمن طعامهم. وكي لا يبقى هؤلاء الفقراء تحت رحمة الإسكان يجب ألا يبقوا هنا.

اتجهت مساءً إلى مكان اجتماع الشرطة. بعد أن اجتمع الجميع، بشرتهم بالعودة !

أيها الأصدقاء لقد سمح لنا أن نعود إلى بيوتنا من يستطيع منكم أن يدفع أجرة الطريق فليقدم اسمه، كي اخذ له إذناً بالعودة من مديرية الشرطة .

عندما سجلت جميع الأسماء بقي اثنا عشر رجلاً لا يملكون أجرة الطريق، أربعة أشخاص كان معهم نصف أجرة الطريق، و الثمانية الباقون لا يملكون شيئاً، طلبت المساعدة من الأصدقاء وقلت :

نستطيع أن ندفع لـ/ 48/ رجلاً من أكراد دنزليه أجرة الطريق ،وثمانية ينتظرون مساعدة دائرة الإسكان. أعتقد أن بقاءهم هنا ليس لائقاً وغير جدير بنا لا يوجد بيننا رجل غني. لكن يوجد شيء عندما تفعلون نستطيع أن نوصل هؤلاء الأصدقاء الفقراء إلى بيوتهم سيقطع أكثر من عشرين رجلاً منا تذكرة الدرجة الأولى والثانية في القطار. إن قطع هؤلاء الأصدقاء جميعاً الدرجة الثالثة وقدّموا الفرق لزملائهم الفقراء سيكفيهم المبلغ وزيادة، ما رأيكم ؟

قال الجميع بصوت واحد : هذا صحيح . سنفعل.

أعطيت أولاً الفارق بين الدرجة الأولى والثالثة ومن ثم أعطى الآخرون يستطيع الجميع أن يسافروا توفي حاجي بدر بك قبل شهرين وكان يجب أن أذهب في طريقي إلى بيته وأعزي زوجته، لذلك ودعت أصدقائي وفي الصباح ذهبت إلى ماردين، بعد أن بقيت يومين في ماردين جئت إلى اضنه لأركب القطار إلى/ رها /.

وجدت في القطار مجموعة أصدقاء من دنزليه مع الشيخ أمين، وجميعهم في قطار الدرجة الثالثة كما اتفقنا. ودخلت بينهم . سألت عن الآخرين قالوا سيتحركون بعد يومين من دنزليه وعندما وصل القطار إلى /كاور داغ / قال الشيخ أمين :

-يعود قدري بك بن جميل باشا مع زوجته في هذا القطار إلى البلاد أيضاً قلت له :

-هل تريد أن تتعرف عليه ؟

ذهبنا أنا والشيخ أمين لرؤيته. بعد السلام سأل قدري بك سؤالاً .

بعد أن أعدم الأتراك اثنين من أعمامك ألم تخف منهم ؟

قبل أن أرى قدري بك، رأيت الكثير من بكوات المدينة وأعرف تفكيرهم، لذلك لم اغضب من سؤال قدري بك إن هذا السؤال إن كان موجهاً لأبن أغا العشيرة رجل مثلي هو إهانة غير مغفورة لا يسألون هذا السؤال بين العشائر، وعادة يكون الجواب قاسياً على السائل. لأن منطق المدينة مختلف عن منطق العشائر أستطيع أن أعكس هذا السؤال لذلك قلت له بهدوء :

-لا، لا يستطيعون أن يرعبوني بإعدام أعمامي.

- هذا يعني أنك تريد أن تناضل من أجل بلادك ؟

-نعم من كل قلبي وأستطيع أن أقدم الكثير من الأعمال البطولية..
فرح لحماسي. تحدث طويلاً عن الأكراد المنفيين وخاصة حول معصوم ابن حزرت. ثم افترقنا عن بعضنا بشرط أن نلتقي مرة أخرى بعد حلب.
بعد أن اجتزنا حلب، ذهبت مرة أخرى إلى قدري بك وتحدثت عن أسلوب العمل النضالي في البلاد ،اتفقنا بعد أن عاد كل واحد منا إلى مكانه ليؤسس رفاق النضال يجب أن نتعاون ونعمل معاً. وعلى هذا الأساس أعطينا بعض كلمة السر حتى يتعرف كل واحد منا على المراسلين .
عندما وصل القطار إلى عين العرب ودعنا بعضنا وافترقنا.
سررت بمعرفة قدري بك كثيراً. منذ اليوم الذي افترقت فيه عن حسين حلمي اتيك حتى اليوم الذي التقيت بقدري بك لم أجد أحداً يتحدث معي عن الوطن والوطنية. كان عمل قدري بك من الأكراد الرئيسين والشباب الذين قد عملوا في جمعية H.v, في اسطنبول. كنت أستطيع أن أستفيد من تجاربه كثيراً أو هكذا كنت أتأمل.
استأجرت سيارة في عين العرب وذهبت إلى رها ولا أحد يتجرأ أن يقابلني خوفاً من الحكومة فلم أخبر أحداً بعودتي فاستأجرت حصاناًمن رها وذهبت به إلى البلد.

وضع العائلة والمنطقة

يكون زعيم العشيرة في النظام العشائري هو رأس الهرم وبذهابه

ينتهي كل شيء، وهكذا كانت وضع عائلتنا، انهارت العائلة بعد إعدام عمي شكري، وإن طلب من أحد أن يستلم زعامة العشيرة، فكان عليه أن يجد أصدقاء جدد وتحالفات جديدة بين العشائر الأخرى ،علماً أنه يتوجب عليه أن يكون حليفاً للحكومة، وبدون مساعدتها لن يستطع أن يستلم الزعامة، توجد منازعات بين العائلة منذ القديم، ومنذ أن وعيت على الدنيا تعمقت الخلافات وتوسعت المسافة بين الطائفتين حول زعامة العشيرة. عندما أعدم أعمامي ونفيت خارج البلاد، حاول منافسونا في العشيرة أن يستلموا الزعامة، وكونوا لأنفسهم أصدقاء وحلفاء في العشيرة لكن هم بحاجة لتأييد الحكومة، وهذا لم يكن ممكناً.

أصبح موظفو الحكومة الذين كانوا يساعدون الزعماء يديرون الآن المنطقة حسب القانون العشائري لذلك لم يستطع المنافسون استلام الزعامة.

بعد أن خرجنا من البلاد تركنا الأراضي والممتلكات. فاستولى الموظفون على أماكننا وأملاكنا وممتلكاتنا بمساعدة الزعماء، وأثناء عودتي إلى البلاد وجدت فيهم الخصم القوي،وأضيف خصم جديد وقوي الى منافستنا في العشيرة.

قبل عودتي من المنفى أعلن الموظفون أن كل من يزور اوسمان صبري بعد عودته من المنفى سيكون عدواً للدولة. لذلك لم يتجرأ أحد من العشيرة أن يزورني، حتى أنهم عندما يسلمون علي في الطريق وكأنهم لا يعرفونني.

ولم يكن وضع الأغوات الآخرين أفضل مني، فالحكومة تحرض القرويين والخدم على أغواتهم وتجرهم إلى المحاكم. باختصار كان الجميع في حالة يأس ينتظرون الخلاص .

لم يبق أحد في البلاد يسمع كلمة من الأغوات وخاصة من عائلتنا وعائلة حاجي بدر بك زعيم رشويان، لأنهما كانتا قويتين في المنطقة، وتحاربان الحكومة.

توقعت أن هذا الوضع لن يستمر وسيكون أفضل لكن لم تجد هذه الفكرة مكاناً في رأسي.

وكل مرة كنت أكتشف حقائق ُمرة: لم يبق في البلاد مكانٌ للمحترمين.

كان لدي هاجس أن أميل إلى الآغاتية وهي المقاومة والنضال في البلاد. ولم أجد غير الأغوات يعملون لصالح البلاد في ذلك الوقت. اكتشفت فيما بعد أنني مخطيء لأنني أطالب ببقاء الأغوات وأرى القوة من خلالهم.

ذهبت إلى القضاء بعد عدة أيام من عودتي لبعض أعمالي، رأيت هناك صديقي زينل بك، فقد كان يائسا كأخيه حاجي بدر بك لأنه كان شجاعاً. حاربت جميع العشائر عائلة حاجي بدر بك بعد موته وخاصة الخدم الذين كانوا يخدمون العائلة كبقية العشائر، أخبرته عن وضع المنطقة والعائلة قلت له :

لم تكن الشجاعة والمروءة من سمات الخدم لذلك تأخرنا، وسنتأخر كل يوم. إن أردت أن تعيد مجد العائلة يجب أن نتحالف معاً بأي طريقة للقضاء على موظفي الحكومة، وننقذ المنطقة والعائلة من الأشرار. وهناك الكثيرون يتأملون إصلاح الوضع معاً، علينا ألا ننخدع.

استمع زينل بك إليّ ثم سحب نفساً عميقاً وقال بحزن :

ماذا نستطيع أن نفعل ؟ أصبحت الحكومة عدوتنا، والعشيرة ضدنا، لقد توفي حاجي بدر وشنق شكري أيضاً.

زينل – قلت بلهجة قاسية هل تريد أن يبقى حاجي بدر وشكري معك دائماً في البلاد كي يحافظ على ماء وجهك بين الناس، ها نحن موجودان اليوم. إن تحالفنا كما كان حاجي بدر بك وشكري فنستطيع أن نصبح قوة في البلاد ونكسر شوكة موظفي الحكومة.

-الحكومة أصبحت عدوتنا يا اوسمان ماذا نستطيع أن نفعل ؟ ألم تعرف أن أعداؤنا كثيرون، عندما نحارب الحكومة سيقف أعداؤنا مع الحكومة.

أراك عاجزاً يا زينل بك، وقد رضيت بهذا الوضع، نعم هذا صحيح فإن الحكومة تعادينا ونحن لا نريد أن نحاربهم، أنا أريد الآن الوحدة لنرفع الظلم عن القرويين. وعندما تشتد قوتنا في المنطقة، ستغير الحكومة نظرتها إلينا، ويأتي إلينا من كان عدواً لنا.

كيف نستطيع أن نصبح أقوياء ؟

هذا ليس صعباً، أعدم اثنان من أعمامي ولم يعد لي مصدر عيش، إن قدمت لي مصروف الطريق فسأذهب إلى أنقرة هناك يساعدنا أصدقاء حاجي بدر بك، وبذلك نرفع ظلم اللصوص عن القرويين. يحاربنا القائمقام وست مدراء نواحي وبعض ضباط الشرطة في المنطقة، إن طردنا هؤلاء جميعاً من البلاد، فلم يتجرأ أحد أن يرفع رأسه أمامنا، عندها ستكون العشيرة كلها صديقة لنا.

عندما تحدثت عن المال والمصروف أنهار زينل بعكس أخيه حاجي بدر الذي كان كريماً وشهماً لذلك رد عليّ :

-لا أصدق أننا نستطيع طرد هؤلاء الموظفين من هنا، لننتظر الأيام القادمة ماذا ستحضر لنا.

إن استطعنا أن نطرد بعضاً منهم فهذا مكسب لنا، لكن عندما نترك القضية للأيام القادمة فبكل تأكيد سنحلم بكوابيس مزعجة.

لم يثق زينل بك بي . لقد كسر الخوف ظهره ولم يستطع أن يدرك وضع البلاد وخداع الحكومة قال :

-لنر ماذا سيحدث ؟

يراني زينل أنني عنيد ومتحمس، وأنا أراه خائفاً جباناً لذلك من المستحيل أن نتفق، لكن رغم ذلك لم يكن أمامنا سوى الوحدة والتحالف من أجل الحفاظ على حياة العائلتين. استولى زعماء العشيرتين على المنطقة بعد أن توحدت منذ زمن، وكان لهما حلفاء وأصدقاء كثيرون بقدر

أعدائهما. هل يثق الأصدقاء بنا ؟ كان علينا أن نتوحد لنزداد قوة رغم أن زينل بك يطالب جدياً بالوحدة لكنه لم يثق بقوتنا، أو أنه يريد أن تأتي القوة من تلقاء ذاتها دون عمل، لكن هيهات لن تحصل على القوة إن لم تدفع ثمنها غالياً.

افترقنا أنا وزينل دون أن نصل إلى نتيجة لأنه لا يجد في نفسه القوة والثقة، يريد أن يقف مكتوف اليدين حتى يضرب العدو ضربته، ماذا يستطيع المرء أن يفعل بعد أن يتذمر؟ عندما خرجت من القضاء أرسل الموظفون رجالهم الذين يحاربون زينل إليّ، وطلبوا مني أن ابتعد عن زينل بك ولا أتدخل بينهما. رددت عليهم بلهجة قاسية ثم كتبت لزينل بك، ورجوته أن يسمع كلامي، لكن متى يتشجع الجبان لرؤية الحقيقة ؟

رد زينل الجواب قال : " من يعترض طريقي أسلم أمره إلى الله ".

بعد عدة أيام ذهبت إليه أيضاً . عندما التقينا أنا و زينل أخبرته عن قصة القائمقام وأعدائه وكيف طلبوا مني ألا أتدخل بينهم وبين زينل. قال لي أيضاً :

-((من يعترض طريقي سأسلم أمره إلى الله)) قلت له بلهجة قاسية :

عندما كنت قوياً لم تكن تذكر الله ،ألم تذكر الله عندما كنت تظلم الفقراء. كذلك هم كانوا يسلمون أمرك إلى الله من شدة ضعفهم وبؤسهم و اليوم تمشي في طريق الذل والهوان إذن إن لم تساعد نفسك فلن يساعدك الله " لم تؤثر كلماتي في زينل ولم تبث فيه روح الحماس والتشجيع . افترقنا أيضاً قبل أن تتوحد كلمتنا وأهدافنا وعدت إلى البيت، لم يمض يومين رأيت أن أحد رجال زينل قادم إليّ وأخبرني ((فتح في الليلة الماضية مخزن الأسلحة وسرقوا منها عشرين بندقية، في الصباح اقتفى القائمقام أثر اللصوص وجدوا البنادق مخبأة في بيت مهجور، لذلك اعتقل زينل بك مع أثنين من أبناء أخوته، لقد أرسلني زينل بك إليك طالباً النجدة ويقول : إنني أوافق على تصرفات أوسمان وإن كان يريد نقوداً فكل شيء يسمح له))

عندها تكونت لدي قناعة أن زينل بك قد عرف الحقيقة، وذهبت إلى القضاء بفرح في تلك الليلة رغم المطر. علمت بالقصة من البداية ، فالذي فتح المخزن وسرق البنادق هو القائمقام نفسه، كان هدفه من تصرفه هذا أن يوضح لحكومة أنقرة أن زينل بك دفع هذه البنادق للسرقة من أجل إقامة ثورة . بعد أن ظهرت الحقيقة للشرطة، أرسلت تلغرافين إلى أنقرة وأوضحت فيها كل شيء بلهجة قاسية. بعد يومين أطلق سراح زينل بك مع أبناء أخيه وبدأت حرب دامية بيننا وبين الموظفين

قلت لزينل بك :

-يجب ألا نترك الفرصة لأعدائنا أن يتنفسوا. يجب أن نضرب ضربات متعددة تلو الأخرى حتى نسيطر عليهم.

لكن عندما وجد زينل بك نفسه خارج السجن راودته فكرة الضعف والعجز ثانية وقد قطع بخله وخوفه طريق النضال علينا وجعلنا نجلس في

بيوتنا حتى وجد الموظفون متنفساً وقطعوا الطريق أمامنا مرة أخرى.

الخيانة

بعد أن أطلق سراح زينل بك مع ابن أخيه، اجتمعوا فيما بينهم، وعدت أنا إلى بيتي، وعاد الموظفون الذين كنت أراهم أعداء لدودين إلي بيوتهم أيضاً.

كانوا يريدون أن يخترقوا صفوفنا، لذلك شنوا هجوماً على زينل بك فقط. وبعد أن يتغلبوا عليه سيلتفون علينا . لكن لن أفسح المجال لهم، بل ساعدت زينل بك دون تردد وحاربتهم، فشنوا هجوماً عليّ وعلى زينل بك وجميع الأغوات اتفق الموظفون مع بدر آغا ابن قاسم باشا جافوزي أن يضربوا ضربة أليمة، وبدر آغا هو الذي خان عميّ وأعدما بسببه. فهو يريد اليوم أن يدفعني أنا وزينل بك وجميع الآغوات إلى حبل المشنقة.

بدأت الخيانة في السر، ولو لم أذهب إلى ملاطية لأشتكو الى الوالي والموظفين لما سمعت بالخيانة في بداياتها، وبناء على شكواي جاء مفتش الملكية إلى ملاطية وطلبني إليه، فتركت المنطقة وذهبت إلى ملاطية، أراد زينل بك أن يسلم أمر العدو لله بسبب ضعفه / وقد نسي أن له أعداء كثيرين ينتظرون سقوطه، يريد زينل بك أن ينهي أيامه الأخيرة في سلام وأمان.

رأيت رجلاً في ملاطية يتقطر العلم والطيبة من وجهه، أطلعته على كل شيء، لقد كان الرجل يحارب المسيء، ولم يفرق بين الأتراك والأكراد بل لم يكن عدائياً اتجاه الأكراد.

اقتنع المفتش بأقوالي بعد أن وجد أنها صحيحة، ومن جهة أخرى وجد أن تصرفات الموظفين عار على الحكومة، فدمعت عيناه وقال :

لم أعرف حتى الآن أنه يوجد ظلم وأخطاء في بلادي كهذه ويقوم بها موظفو الحكومة، أو يوجد رجال من هذا النوع يمثلون الحكومة. غير خاف عليك فأنا لا أستطيع أن أخبر أنقرة عن هذه التصرفات والأفعال قبل التأكد والتحقيق منها. وإن أخبرت أنقرة لا تستغرب أن يتهمونني بتهمة مساعدة الأغوات. وأنت لا تريد أن أتهم بهذه التهمة، لدي طريق واحد سأسير عليه، إن وافقت حكومة أنقرة، سأحقق معهم كما يتطلب القانون، وعندما لا توافق الحكومة، سأترك التحقيق وأترك الوظيفة، وتستطيعون أن توصلوا المهمة لرجل آخر عوضاً عني، افترقنا أنا ومفتش الملكية. أطلعته في الجلسة الأولى على كل الأمور، فرحت قليلاً . وقد لاح أمامي بوادر النجاح. كنت أمر على مفتش الملكية كل عدة أيام مرة واحدة وأسأله إن جاء رده من أنقره أم لا ؟ كان يقول لي دائماً :

-انتظر قليلاً لم أصل بعد إلى نهاية جيدة. أعلم جيداً أنني متشوق أكثر منك، لكن لا يمكن أن أفعل شيئاً.

بقيت شهراً ونصف شهر في ملاطية. عندما وجد الوالي أن المفتش لا

يسير كما يريه، أراد أن يضربنا ضربة قوية بيد القائمقام والموظفين ودبر لنا مكيدة كبيرة ليتخلص منا جميعاً دفعة واحدة، الخيانة هي باختصار :

عندما عدت من المنفى رأيت جميع أغوات المنطقة، وتحدثت معهم عن ظلم الحكومة التركية، عندما جاء اربجي حاجي محمد أفندي لرؤية صهره زينل بك زعيم عشيرة رشوويان ذهبت أنا وجميع أغوات المنطقة لرؤيته وأسسنا حزباً سياسياً وراءه ونسبنا كثيراً من الناس إلى الحزب. من أهدافه التحضير للانقلاب بمساعدة خويبون وتأسيس حكومة كردية. كان زعيم الحزب آربجي حاجي محمد أفندي أما الزعيم والرئيس فكنت أنا ...)).

كانت كل الاتهامات كاذبة، لا أساس لها. لم أر أحداً من أغوات المنطقة بعد عودتي من المنفى ولم أذهب إلى ملاطية لأشكو على الوالي والمأمورين. كنت أعرف آربجي. لكن الدولة تبحث عن سبب ما لإخافة الأغوات.

بعد قضاء شهر ونصف في مدينة ملاطية، صرخّ مفتش الملكية يوماً إليّ وقال بصوت مكسور: كلفني حكومة أنقرة بالتحقيق الكبير يجب أن أذهب بسرعة إلى أنقرة، وسيرسلون قريباً مفتشاً آخر إلى هناك من أجل شكواك. وسيراني المفتش بلا شك قبل أن يأتي سأتكلم معه عن المأمورين وعن شكواك .

بدا من كلامه أن حكومة أنقرة لم توافق على طلبه لذلك ترك المفتش الوظيفة. كي يأتي مفتش آخر كان يجب علي أن أبقى في ملاطية، لأن العودة إلى البيت ليست سهلة، وقد أقترب فصل الشتاء إن ذهبت إلى البيت فلا أستطيع العودة حتى الربيع من كثرة الثلوج إلى ملاطيه، وعلى طريقي يوجد جبل مغطى بالثلج مسافة / 110/ كيلو متراً، وكان العبور فيه صعباً جداً. كان المسافرون يضيعون في الثلج فوق الجبال تساقطت الثلوج على الجبال بغزار ة وكان العبور صعبا جداً وفي تلك الفترة علمت أن المأمورين دبروا لي ولجميع الأغوات مكيدة كبيرة، يجب أن اصل إلى كخته ولو كان على جثتي كي أفعل شيئاً. لكن لم أعرف أن كل شيء قد انتهى ولم تعد فائدة لذهابي.

عندما سمع الوالي أنني أذهب إلى كخته، أرسل ورائي كي يمنعني، وعندما تقابلنا كالزيت والنار تخنزرنا وتشاتمنا. لكن بعد هذا الحرب الكلامي اتجهت إلى كخته. ورغم تساقط الثلوج وغزارته على الجبال وصلت إلى البيت.

لقد وصلت متأخراً، انتهى كل شيء، والإضبارة التي كتبها المأمورين بحقنا قد أخذت مفعولها وشاهد عليها / 64/ شاهداً أننا طلبنا عنهم أن ينتموا إلى حزبنا ويحاربوا الحكومة. هكذا أوقفت حكومة أنقرة شكوانا حتى استعد المأمورون بهذه المكيدة الكبيرة بحقنا.

في صباح اليوم الذي وصلت إلى البيت، اعتقلت مع / 26 / أغوات وأبناء أغوات. أراد أن يأخذونا إلى ملاطية في تلك الشتاء وكان الذهاب

على الجبال غير ممكن، فقد أرادوا أن يرسلوننا من منطقة سمسور بجانب النهر الأسود، لأن الثلج لم يكن على جانبي هذا النهر .
المكيدة التي دبروها لنا كانت كبيرة، وقد دس لنا بدر ابن قاسم باشا، يريد أن يتخلص منا جميعاً. لذلك فكرت ألا أذهب إلى ملاطية وأهرب في الطريق. وعندما أريد الهرب لاأستطيع أن أتوقف في البلاد، كان يجب أن أخرج من البلاد . هل يجوز أن أترك البلاد وأهرب من أجل أمثال بدر قاسم باشا ؟
وكان من بين الأغوات المعتقلين اثنان من أبناء عم بدر أغا. كان بدر أغا لا يريد أن يعتقل أبناء عمه، قال المأمور : " سجل أسماء أبناء أعمامك في الإخبارية وقد سجلها بلا تردد. لكن هل يجوز أن يترك رجل كهذا حياً على الأرض ؟ وهذه إحدى الأفكار التي راودتني طول الليل ولم تدعني.
لم أنم حتى قريب الفجر كنت أفكر بأشياء ثلاث وهي :
يجب ألا أتخلى عن طريق النضال.
يجب أن يقتل بدر أغا.
لكي أحقق هذين الشرطين يجب أن أهرب من القافلة المأخوذة إلى ملاطية.
بعد أن توصلت إلى هذه النتيجة، وضعت رأسي على المخدة ونمت بارتياح. عندما خرجت من البيت في الصباح ذهبت إلى القضاء وقد استعدت للهرب، استأجرت حصاناً قوياً مع مسدسين خبأته مع سائس الخيل للهرب.
عندما وصلت إلى قضاء رأيت أن جميع الأغوات وأبناءهم موجودون قبلي . لم يهتم أحد من الموظفين بهم وتركوهم أحراراً. ومن اراد الهرب سيستطيع أن يهرب بسهولة. وكان هدف المأمورين من هذا هو : أن نهرب ليثبت علينا التهمة . لذلك لم يتذكر أحد من أصدقائي الهرب. لكن بالنسبة لي فكرت بالهرب، وهي فكرة جيدة.
بعد وصولي بساعتين أحضر بدر أغا أيضاً وكان معتقلاً إنه سيذهب معنا إلى ملاطية كي يدلي بشهادته أمام الوالي والمحقق العسكري. يبدو أن القدر أراد أن يساعدني. كنت أريد أن أهرب كي أقتل بدر أغا . وهذا هو بدر أغا سيذهب معي 6-7أيام وكان المسدسان مع السائس وكذلك خيل نشيط وأصيل امتطيه، ماذا أريد من الله غير ذلك ؟ أستطيع أن أقتله بسهولة وأذهب إلى سوريا.
الطريق الذي سنسلكه إلى ملاطية جعلني أقترب من هدفي أكثر، عندما أصل إلى النهر الأسود أستطيع أن أقتله وخلال 10- 15 ساعة أصل إلى كلس حدود سوريا. وجعلتني هذه المصادفة سعيداً جداً وتشكلت لدي قناعة راسخة بأن الله لا يحب المسيء والظالم.
ارسلونا بعد وصولي إلى القضاء بيوم. كنا /26/ رجلاً ومع كل واحد منا سائس أو خادم و86 شرطياً مع جاويش واحد. كانت قافلتنا طويلة

قرابة الكيلومتر واحد، من يسبق الجميع أو يتأخر عن الرتل لا يتدخل الشرطة في شؤونه. وكأننا نذهب إلى احتفال أو عرس أو زنزانة. وقع نظري على بدر آغا في الطريق، ابتسمنا نحن الاثنين . كان يبتسم من المكيدة التي دبرها لي. وأنا ابتسم من المكيدة التي دبرتها له وسأنفذها بعد يوم . كدنا نصل إلى النهر الأسود في ذلك المساء الذي كنت أصفي حسابي معه واتجه إلى سوريا. ثم فكرت بهذا. دون شك كان بدر آغا يجدني معلقاً على حبل المشنقة.

وصلنا إلى النهر بعد الظهر. لم يكن النهر عميقاً لكنه كان عريضاً وفي بعض الأماكن تصل المياه إلى نصف القامة. لذلك كان الرجال يرفعون ثيابهم إلى الأعلى ويقطعون النهر . كان سائسي يعلق المسدسين بحبل حول خصره. وعندما رفع عباءته إلى الأعلى كي لا تقع في الماء، ظهر مسدس من تحت عباءته وقد رآه شرطي . وعندما مر من جانب الشرطي فتش الشرطة السائس ووجد معه مسدسين.

عندها كنت في مؤخرة القافلة أتحدث مع زينل. وعندما رأيت أن الفوضى دبت في القافلة وصدرت وأصوات والصراخ يرتفع تركت زينل وأسرعت إلى مكان التجمع، رأيت مسدسين مع الشرطة وكل واحد من يتفوه بكلمة. غالبية الأغوات كانوا يعرفون أن المسدسين لعمي وأيضاً يعرفون أنني جلبت معي من أجل ثأرهما.

قال واحد من أصدقاء بدر آغا :

هل تعرف أننا نذهب إلى السجن، لو نعرف أننا نتجه إلى المعركة لكنا أحضرنا كل واحد منا أسلحتنا.

قلت / جميل جداً، المكان الذي نتحدث عنه لا يمكن أن تفعل فيه شيئاً.

عندئذ تدخل الجاويش وبعض الآغوات بيننا وأبعدونا عن بعضنا. لم يتفوه بدر آغا بكلمة واحدة، لكن لم يعد هناك أمل لقتله، لذلك تخليت عن فكرة الهرب. يجب أن أتماسك وأتمالك نفسي حتى نخرج من السجن . لو قتلت بدر آغا لاستطعت أن أهرب. وقد راودتني فكرة أخرى.

وصلنا إلى سمسور، في المساء. اشتكى بدر آغا عليّ بأنني أحضرت معي مسدسين لقتله. وجرى معي تحقيق طويل في تلك الليلة، قلت للمحقق :

أحضرت معي هذين المسدسين للبيع، لو كانت لدي فكرة القتل، لكنت قتلته قبل اعتقالي، لكن لا يمكن أن أقتله وأنا معتقل ...)) وادخل آفادتي بين إضبارتي وفي الصباح اتجهنا إلى النهر الأسود ومشينا بجانب النهر ستة أيام إلى ملاطية .

بعد وصولنا إلى سجن ملاطية بثلاثة أيام أخذوا إفادتنا. كان مستنطقاً رجلاً سيئاً، كان يريد أن يحيد عن الحقيقة، عندما رأيت ذلك رويت له القصة من أولها إلى آخرها.

وقدمت له بعض الملاحظات، كي يسأل الشهود. بهذا الشكل جعلت الشهود يختلفون في تقديم إفادتهم وتغير شهاداتهم.

لحسن حظنا كان المحقق كولونيلاً كردياً، فرحنا كثيراً وعاملنا معاملة حسنة قال لي أثناء التحقيق:
-أنا كردي مثلك لكن للأسف لم أقدم أي عمل لشعبي. كانت خدماتي كلها للأتراك.
اعتقد أن شعبي سيحتاج إليك، وستزعجني كثيراً إن تركتك واترك أصدقاءك، وإن بقيت في هذه البلاد فسيقتلك الأتراك لا محالة.

على درب النضال

بعد أن خرجت من السجن بسند كفالة، ذهبت في الصباح لرؤية المقدم حسين حسني بك. فرح المقدم كثيراً وكأنه سيذهب في رحلة طويلة ويصل في الوقت المحدد. لكن ظهرت على وجهه آثار تعب. بعد أن قدمت له تحياتي وشكري قلت له :
سأذهب إلى البيت غداً. ما هو طلبات المقدم كي أنفذها له.
الخروج من السجن جميل، ولا أحد يستطيع أن يمنعك من الذهاب إلى البيت. لكن لدي طلب واحد يجب أن تنفذه.
تفضل سأنفذه فوراً.
-أذكر أنك قلت من خلال حديثك ((لن تبقى في هذا البلد وتريد أن تخرج وتناضل في الخارج))
-نعم قلت هذا.
-فكرة الخروج من البلد فكرة مناسبة. إن لم تخرج ستدفعك الحكومة للقتل، يريدون أن يتخلصوا منك بأي طريقة هل سمعت ؟
- نعم سيدي وسأذهب.
-هيا رافقك الله.
بعد أن خرجت من غرفة المقدم . كنت أفكر بالخروج من البلاد، وقد اتخذت هذه الفكرة حيزاً كبيراً من تفكيري والطريقة التي سأخرج بها وأناضل من أجلها ومن أجل الحرية كانت تمر أمام عيني.
لكنهم حاربونا، كانوا يعتقدون أنهم سيقتلوننا بخيانة صغيرة إنهم

مخطئون، لأنهم ينظرون إلينا كقوة صغيرة. وخاصة بعد أن أبعدنا اثنين منهم من ولايتنا.
يبدو أنه لا امل في زينل بك، يقترب زينل بك من الأعداء ويبتعد عني.
بدا لي أنه ليس ذلك الرجل الذي يعتمد عليه في الأيام الصعبة أو يستطيع أن ينتشل نفسه من مستنقع الخوف والرذيلة.
كان جميع رجال عائلته يريدون أن يتخلوا عن النضال بعد موت بدر بك من أجل المحافظة على ممتلكاتهم وحياتهم. كان وضعه الضعيف من أحد الأسباب التي جعلتني أخرج بسرعة من الوطن. أعدائي كثيرون يطالبون بقتلي وبمجرد أن يلقوا المساعدة من الحكومة،لن يدعوني اتنفس، لذلك أسرعت بالخروج من الوطن.
كنا قد عدنا منذ أيام من المنفى، وكان وضعي صعباً جداً، عندما أخرج من الوطن ستبقى عائلتان بلا معين ولا مساعدة، كان علي أن أدبر طريق العيش لهما وهاتان العائلتان هما: والدتي وأختيّ وأخ لي من عمي شكري يعيشون معاً . ثم الثانية : زوجتي الحامل مع ابني وأختين لي من والدتي. وقبل الخروج من الوطن كان علي أن أجد لهما طريقة للعيش كي يستطيعا العيش بهدوء .
رغم أن الحكومة التركية استولت على ممتلكاتنا الكثيرة فقد بقي منها قليل يكفي العائلتين، وكانت قريتان من منطقة رها يعود ريعهما لنا، جمعت العائلتين في عائلة واحدة، أرسلت زوجتي مع ابني إلى بيت والدها وسأحضرها إليّ بعد خروجي.
ذهبت في نهاية شهر أيلول إلى منطقة رها إلى أملاكي في القريتين (استاغلو وقرجك). بعد أن رتبت أموري مع القريتين كان من الممكن أن أخرج بسهولة من الوطن، وكذلك وجدت طريقة مختصرة لقتل بدر آغا سأذهب إلى قصره وأقتله هنا ك
نسيت أن أتحدث عن القرابة بيننا وبين عائلة اوسمان باشا عن طريق النساء .
كان عمي أمين ابن أخت اوسمان باشا، وقد تزوج ابن أمين يدعى ويسي من ابنة اوسمان باشا وهي حماتي. وكما هو معروف أستطيع أن أقتل خال زوجتي وأخرج من الوطن.
ولكي لا يعرف أحد بتحركاتي ولا يشك بها قلت في اليوم الأول سأذهب إلى رها.
لذلك يعرف الجميع أنني بعد العودة من المنفى وقد يئست ولن أعادي الحكومة . وأترك خطى أجدادي. رغم أن هذه الفكرة كانت تفرح الأعداء وتزعج الأصدقاء كثيراً.
رتبت أموري كي أخرج في شهري تشرين الأول وتشرين الثاني من الوطن. ذهبت إلى رها واشتريت ثياباً جديدة.
بقي لي أن أتوجه إلى قصر بدر آغا وكما أوصاني عمي أن أقتله

وأخرج من الوطن.
كنت مسرعاً ذات يوم في سوق رها ذاهباً إلى موعد. وجدت أن بدر آغا جالس في محل يتحدث بصوت عال. وعندما عدت لم أجده هناك، ثم عرفت من الذين كانوا معه أنه جاء إلى الطبيب يشكو من أذنيه، وسيبقى فترة هنا. في تلك الفترة حاولت أن أعرف عنه كل شيء.
كنت ضيفاً في بيت عمي أمين في رها. لو لم أجد بدر آغا في ذلك اليوم في المدينة مصادفة لكنت خرجت في اليوم الثاني من المدينة متوجهاً إلى قصره، ربما كنت أجد صعوبات بخروجي من المدينة ودون أن تسنح لي فرصة قتله،لكن الله ساقه إليّ. ومن جديد وجدت لنفسي أعمالاً صغيرة في المدينة كي لا يشك أحد وخاصة عمي أمين وزوجته بي. أردت أن أذهب إلى شمال الفرات إلى عشيرة جفوزان وأقتله أمام قصره ثم أذهب إلى سوريا. ها لقد جاء الرجل واختصر علي المسافة يجب ألا أتركه يعود حياً إلى بيته.
كان يجب علي أن أعرف عنه كل شيء كم يوماً سأبقى هنا . ولم تسنح لي الفرصة أن أعرف كم سيبقى هنا. جاء بدر آغا في اليوم الثاني لزيارة عمي أمين وزوجته. قلت سابقاً أن عمي هذا هو ابن أخت اوسمان باشا وأيضاً صهر العائلة. مهما كانت العداوة بين رجال العائلة أو العشيرة فعندما يلتقون ببعضهم لم يدير أحد ظهره للآخر. وكأنه لا يوجد شيء بينهم يتحدثون مع بعضهم. عندما جاء بدر آغا إلى بيت عمي جلست معه وتحدثت إليه وألقينا النكات.
لم يرتح لي أبداً فقد سألني كي يعرف ما يدور في ذهني. سألني بين حديثه:
-سمعت أنك تريد أن ترحل إلى رها ؟.
-صحيح.
-ألم يخطر ببالك أنهم سيقولون إن اوسمان هرب من الأعداء ؟
-لا، لم يخطر ببالي (لا أعتقد) أن أحداً يتهمني بالضعف وخاصة عندما أخرج من المنطقة فلن يرتاح الأعداء أبداً.
-عندما تخرج من المنطقة، سيفرحون. يقال: (الراحل لن يعود) عندما تريد أن تترك المنطقة ستنسى أهلها.
-إن تناسيت المنطقة كلها مع أهلها، يجب ألا أنسى أن غضبي يستطيع أن يهز تلك الأرض.
عندما لاحظ عمي أن الحديث اشتد بيني وبين ابن خاله، خرج ونادى عليّ كي يغير الموضوع قال:
-لا يجوز أن تتصرف مع بدر آغا في بيتنا هكذا. يجب أن تكون واسع الصدر أكثر من هذا، يبدو أن حرارة الغرفة أثرت فيك. أخرج إلى الهواء قليلاً كي تعود إلى وضعك السابق.
وجدت أن نصيحة عمي في مكانها . وقفت في الخارج فترة، عندما عدت كان الحديث يدور حول الخيول. قال عمي :

ها هو اوسمان / دائماً يمدح حصانه. ويمدح حنفي اوسمان كيا حصانه أيضاً يجب أن يتراهن الاثنان في السباق ، من يتأخر سيشتري غنمة ويقدمها لنا.

عندما وجدت أن في هذا العمل قد أجد فرصة لقتل بدر آغا قلت :

-إن وافق حنيفي، سأوافق أيضاً.

قال حنيفي : أنا وافقت أيضاً، ومستعد في أي وقت تشاءون

قلت : إن كان عمي، وبدر آغا سيحضران إلى ساحة السباق سنتسابق غداً.

رأى الجميع أن هذا الكلام مناسب، كان الموعد في صباح الغد في الساعة الثامنة.

وعد الجميع كلمة شرف أنهم سيذهبون إلى ساحة السباق. وسيكون عمي وبدر آغا حكماً بيني وبين حنيفي، ومن يخسر سيدفع ثمن نعجة سمينة ثلاث ليرات ذهبية للحكام. بعد أن قضينا سهرتنا، وذهب كل واحد إلى بيته، بقيت أنا وحنيفي (كان حنيفي ضيف عمي قال : :هل رأيت كيف جعلونا نتحمس ودعونا نتقابل ؟.

- لا يهم، دائماً كنت تمدح فرسك وأنا كنت أمدح حصاني، كان يجب علينا أن نجرب، لذلك لا أرى يوماً أفضل من الغد. وعندما لاح حنيفي أنني مازلت متحمساً قال ببرود : جميل، كما تريد.

لو كان حنيفي يعرف ما هو هدفي) ربما كان يفضل أن نتسابق فوراً. لكن لم أحب أن أفسح ما يجيش في صدري لأحد. كان حنيفي واحداً من وجهاء المرديسي الذين يعيشون خارج المنطقة. فهو يحب عائلتنا كثيراً وكنت أحترمه. وكان يكره بدر آغا مثلي وربما أكثر مني وليس من أجل شيء بل من أجل ثأر عمي شكري.

بعد أن نام حنيفي، فكرت كثيراً، كل شيء يجري كما أشتهي فقط كانت بندقيتي في القرية. لكن معي مسدس (باربللو)مع ست مخازن مليئة ومائة طلقة. من أين سأجد بندقية هذه الليلة. لكن مسدسي يكفي لقتل بدر آغا.

لو أن بدر آغا يأتي مع عمي إلى ساحة السباق لكنت استطعت أن أقتله كما طلب مني عمي شكري وأقول له : لا توجد خيانة في هذا يا بدر آغا، إنني أخبرك كالرجال، أريد أن أثأر لعمي)).

عندها كنت أستطيع أن أزرع الطلقات في صدره وأتجه بسرعة إلى القرية وآخذ بندقيتي ثم اتجه إلى سوريا.

منذ عدة أشهر أريد أن التجيء إلى سوريا لذلك كنت أعرف الطرقات والممرات. لو قتلت بدر آغا فلن يستطع أحد أن يمنعني من الدخول إلى سوريا.

عندما تذكرت طرق الخروج من الوطن، هرب النوم من عيني من شدة الفرح. بقيت حتى الصباح جالساً في فراشي، لم يزرني ملك النوم بأي طريقة .

ربما يتذكر القارئ هل يجوز أن أقتل بدر آغا في بيت عمي أمين ؟. ذلك العم الذي لم يحب أن يرى دماء أخويه بيد ابن خاله، يجب أن يرى جثته (جثة بدر آغا) أمامه. لم أجد أي خطيئة في هذا العمل .

ربما لم يقدر الله أن يقتل بدر آغا في ذلك اليوم في ساحة السباق في رها. انهمر المطر بقوة. كلما توجهت بدعائي إلى الله أن يتوقف المطر كلما انهمرت بشدة. وصل المطر في الساعة السابعة لدرجة لا يستطيع المرء أن يخرج إلى بيت جاره . لم ينقطع المطر في ذلك اليوم والليلة، وحتى في اليوم الثاني مساءً . وكانت الشوارع موحلة. عندما يريد أحد أن يذهب إلى السباق يجب عليه أن ينتظر عدة أيام، كي تتشف الأرض. بعد أن توقف المطر لم يعد حنيفي ينتظر في رها، هكذا فقدت فرصة ذهبية.

إن فقدت هذه الفرصة، كان علي ألا أفقد فرصة الطريق أيضاً قبل أن يصل إلى الفرات كنت أستطيع أن أقطع عليه الطريق وأقتله . لذلك وضعت خطتي. وكان علي أن أخرج قبله بعدة أيام إلى (جرن رش) .Cirn Re\\ وأنتظر قدومه. اذ لم يكن معه حصان، كان سيأتي بالسيارة إلى(جرن رش) ومن هناك يركب الحصان إلى البيت. قبل خروج بدر آغا من رها بعدة أيام ذهبت إلى جرن رش ومعي سائسي. ولا توجد في هذه المنطقة فنادق، لذلك حللت ضيفاً على رجل. مض يومان أو أربعة، أسبوع كامل لم يأت بدر آغا، إن بقائي في جرن رش بدون سبب يضعني محط الشبهات. وعلاوة على ذلك كان ابن صاحب البيت مريضاً جداً، والجلوس في بيته كان معيباً، لكن ماذا أفعل، لن أترك الفرصة تفلت من يدي وربما لم تسنح لي فرصة أخرى .

توفي في اليوم التاسع ابن صاحب البيت وتحول البيت إلى بكاء ونواح وعويل، وتضايقت كثيراً لدرجة لم أستطع أن أتوقف ساعة في مكان ما. في ذلك اليوم وصل بدر آغا بعد الظهر مع صديقيه إلى جرن رش وذهبوا إلى بيت سينو.

كان سينو من عشيرة جفوزي يعني من عشيرة بدر آغا يسكن في جرن رش وكان الوقت مساءً لا يستطيع بدر آغا أن يذهب إلى البيت . نام في تلك الليلة في بيت سينو، كان عليه أن يتوجه صباحاً إلى البيت، وكان وجودي في جرن رش غير مناسب . ولكي لا أفقد الفرصة كان يجب عليّ أن أذهب إلى قرية أخرى على الطريق لأخرج في الصباح وأقطع طريقه دون أن يشك أحد. ودعت صاحب البيت بسرعة وخرجت من جرن رش. توجد قرية تدعى خشخشك على الطريق كانت القرية على حدود عشيرة جفوزيان ويعتبر أهل القرية أنفسهم من جفوزيان وكان صاحب القرية من أصدقاء والدي ويحب النكات كثيراً . عندما رآني للمرة الأولى أمام بيته لم يعرف ماذا سيفعل بي من شدة الفرح . كان الصباح بالنسبة لي متعباً لأنني سأتوجه إلى سوريا لذلك أجبرت خليل في منتصف الليل أن ينام ونمت أصبح تنفيذ مهمتي سهلاً، عندما وضعت رأسي على المخدة نمت ولم أستيقظ حتى الصباح.

مقتل بدر باشا والذهاب إلى سوريا

استيقظت في الصباح الباكر وودعت خليل، واتخذت طريق جرن رش. كان من الممكن أن يتحرك بدر آغا صباحاً ونلتقي في منتصف الطريق. كنا نمشي ببطء وصلنا في الساعة 7,30 الى مقربة جرن رش، لم نجد أحداً في الطريق. عدت ثانية إلى الفرات إلى قرية (هليسة).كان يسكن في هذه القرية شيخ خانم ابن أخت بدر آغا. كان سيرسل لي بندقية من هليسة لكنه لم يرسلها حتى ذلك الوقت، تحججت أن أذهب إلى القرية وأسأل عنها دون أن يشك أحد بشيء، حتى أذهب إلى هليسة وأعود ثانية إلى جرن رش سيكون الوقت ظهراً وبدون شك سألتقي ببدر آغا .

ذهبت إلى هليسة وسألت عن بندقيتي قال الشيخ خانم : ((لم تأت بعد، عندما تأتي سأرسلها لك)) أراد الشيخ أن أنام الليلة عنده، لكن أنقذت نفسي منه بحجة ما. لو لم أجد الفرصة لقتل خاله لبقيت عنده الليلة إنه شيخ متحدث ورائع. من جديد اتجهت إلى طريق جرن رش. مازلنا نصعد في طريق هليسة وجدنا أربعة رجال في الأعلى على الطريق، اعتقدت أنه بدر آغا. كان منحدر هليسه صعباً. حصاني يعرف طريق الجبال.

قال أصدقاء بدر آغا فيما بعد عندما رأوني قالوا لبدر آغا : ((ها هو ابن صبري يأتي في الطريق، إنه عنيد ويده قذرة، أخرج عن طريقه، كي لا تلتقيا معاً)). في البداية كان عنيداً، لكن فيما بعد وافق على كلام أصدقائه وخرج عن الطريق.

كنت بعيداً عنه قرابة 40-50 ذراعاً عندما خرج بدر آغا من الطريق مسافة 5-6 أذرع كان الجو بارداً والرياح قوية. لم يستطع المرء أن يخرج إلى الطرقات بلا معاطف أو حطة رأس. وقد وضع بدر آغا على رأسه حطة صوفية ولم يظهر سوى عينيه، ركب فرس سينو حتى لا أعرفه من بعيد، عندما اقتربت منه مسافة 10 خطوات وضعت الكرباج الذي بيدي خلف ظهري وسحبت يدي اليمنى من المعطف وأخرجت حصاني من الطريق ثم اتجهت إلى بدر آغا. وجد الثأر والقتل في عيني، لكن لم يعد يعرف ماذا يفعل. وصل رأس حصاني إلى حصانه، عندها سلم علي بصوت عاجز ومندهش. رددت عليه بصوت قوي وقلت :

لا يوجد سلام بيننا، استعد كالرجال ها إنني سأقتلك .

أخرجت يدي من تحت المعطف، لمع مسدسي (برابللو) في يدي.

مد يده أيضاً إلى مسدسه، لكن لم يجد فرصة ليسحب المسدس، أطلقت ثلاث طلقات وزرعتها في صدره وفي كل طلقة تبتعد يده عن المسدس، ما زال مصراً أن يمد يده كي يسحب المسدس. كان رجلاً ضخماً ولم يقع بسرعة، عندما انهار مثل جثة فوق الحصان على الأرض، وجهت طلقة رابعة إلى جبينه.

بعد سقوط بدر آغا التفت إلى أصدقائه، فوجيء الجميع من تصرفي مع سائسي وبان الخوف على وجوههم. فالخائف لا يستطيع أن يفعل شيئاً قلت لهم : لقد ثأرت لنفسي، إياكم أن يأتي أحد ورائي. والذي يلاحقني سيلاقى حتفه.

رافقني سائسي واتجهنا إلى (كازة) عندما وصلنا إليها وجدنا أمامنا على مسافة مأتي خطوة مجموعة من الجندرمة مع أهل قريتين. كانوا قد جاءوا مع قائمقام جرن رش كي يعينوا الحدود بين القريتين. لا شك أنهم سمعوا صوت الطلقات، لكن لم يعرفوا من أطلق ولأي سبب.

بعد أن تجاوزناهم، أسرعنا إلى (استاخولا). أخذت بندقيتي من هناك واتجهنا إلى سوريا.

بعد أن خرجنا من ولاية سيورك، لم نعد نخاف ولم يلاحقنا الشرطة. عندها صعدت إلى تل عال واتجهت إلى ديار بكر (كما أوصاني عمي) وصرخت عالياً :

اليوم استرددت ثأرك ها هي البداية، والنهاية عند الله)).

قبل غروب الشمس بساعة واحدة وصلنا إلى (جغرشه) قرية حنيفي. سيرسل معي دليلاً إلى حدود سهل برزان (كان من الممكن أن نضيع الطريق بلا دليل، عندما عرف حنيفي أنني قتلت بدر آغا فرح كثيراً، عندما قلت له : هل تعرف أنه لولا المطر لقتلته في ساحة السباق)).

قال لي : كان من الأفضل أن يهطل وإلا لكان جفوزان يعتبرونني شريكاً في القتل)). خرجنا بعد غروب الشمس بقليل، كان دليلنا غير مطلع لا يعرف الطرقات في الطرقات. وأخيراً وصلنا إلى القرية التي نريدها قبل الفجر. وكان هناك رجل يدعي (مسى حمه) **Mis. Hem.** وكان ميرديسياً. ذهبنا إلى بيته ضيوفاً. كنا نمتطي ظهر الحصان قرابة عشرين ساعة، ولم نستطيع أن نتحرك من شدة التعب. طلبنا من صاحب البيت قيل كل شيء أن يفرش لنا كي ننام، عندما وضعت رأسي نمت فوراً. حلمت بعمي شكري، يركض باتجاهي بشوشاً مشرق الوجه ثم حضنني وفرح بي كثيراً. ثم استيقظت من النوم وجدت نفسي محظوظاً لفرح عمي ولم أطلب أكثر من هذا .

في ذلك المساء ليلة 26 شهر كانون الأول عام 1926 ذهب معنا رجل من قبل (مسى حمه) وقد أوصلنا إلى عين العرب (كوباني- المترجم) في سوريا.